إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شرح كتاب التوحيد

من صحيح البخاري

٢

ح دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٢هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغنيمان ، عبد الله محمد

شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ـ الرياض

٦٨٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ١ـ٤٩ـ٨٣٧ـ٩٩٦٠ (مجموعة)

٣ـ٥١ـ٨٣٧ـ٩٩٦٠ (ج ٢)

١ ـ التوحيد ٢ ـ الحديث ـ مباحث عامة أ ـ العنوان

ديوي ٢٤٠ ٢٢/٣١٢٦

رقم الإيداع: ٢٢/٣١٢٦

ردمـــــك: ١ـ٤٩ـ٨٣٧ـ٩٩٦٠ (مجموعة)

٣ـ٥١ـ٨٣٧ـ٩٩٦٠ (ج ٢)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص.ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شرح كتاب التوحيد

من صحيح البخاري

تأليف
عبد الله بن محمد الغيمان
رئيس قسم الدراسات العليا
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الجزء الثاني

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٦٧- وقالَ حَجَّاجُ بنُ مِنْهال: حدثنا هَمّامُ بنُ يحيى، حدثنا قتادةُ، عن أنسٍ -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «يحبس المؤمنون يوم القيامة، حتى يهموا بذلك فيقولون: لو استَشْفَعْنا إلى ربِّنا، فَيُرِيحُنا مِنْ مكاننا، فيأتونَ آدمَ فيقولون: أنتَ آدمُ أبو الناس، خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ، وأسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وأسْجَدَ لكَ ملائِكَتَهُ، وعَلَّمَكَ أسماءَ كُلِّ شيءٍ، لِتَشْفَعْ لنا عندَ رَبِّك، حتّى يُرِيحنا مِنْ مكاننا هذا، قالَ: فيقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، قالَ: ويذكرُ خطيئتَهُ التي أصابَ، أكْلَهُ مِنَ الشجرةِ وقد نُهيَ عنها، ولَكِنِ ائتوا نوحًا، أول نبي بعثه الله -تعالى- إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً، فيقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، وَيَذْكُرُ خطيئَتَهُ التي أصابَ، سُؤَالَهُ رَبَّهُ بغيرِ عِلْمٍ، وَلَكِنِ ائتوا إبراهيمَ خليلَ الرحمنِ، قالَ: فيأتونَ إبراهيمَ، فيقولُ: إني لستُ هُناكُمْ، ويَذْكُرُ ثلاثَ كَذَبَاتٍ كذبهنَّ، ولكن ائتوا موسى، عبدًا آتاه الله التوراة، وكلمه وقربه نجياً، قال: فيأتونَ موسى، فيقول: إني لستُ هُناكُمْ، وَيذْكُرُ خطيئَتَهُ التي أصابَ، قَتْلَهُ النَّفْسَ، ولكن ائتوا عيسى، عَبْدَالله وَرسُولهُ، ورُوحَ الله وكَلِمَتَهُ، قال: فيأتونَ عيسى، فيقولُ: لستُ هُناكُمْ، ولكن ائتوا محمداً ﷺ، عَبْدَاً غَفَرَ الله له ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، فيأتوني، فأستأذنُ على ربي في دَارِهِ، فيؤذنُ لي عليهِ، فإذا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ ساجداً، فَيَدَعُنِي ما شاءَ الله أنْ يَدَعَنِي، فيقولُ: ارْفَعْ محمدُ، وقل يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ.

قالَ: فأرفعُ رَأسي، فأثني على ربي بثناءٍ وتحميدٍ يُعَلِّمُنِيه، فَيَحُدُّ لي حَدّاً، فَأَخْرُجُ، فَأُدْخِلُهُمُ الجنةَ، -قال قتادةُ: وَسَمِعْتُهُ أيضاً يقولُ: «فَأَخْرُجُ، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النار، وأدخلهم الجنةَ- ثم أعودُ فأستأذنُ على ربي في داره، فيؤذنُ لي عليهِ، فإذا رأيتُهُ وَقَعْتُ ساجداً، فَيَدَعُني ما شاءَ الله أنْ يَدَعَني، ثم يقولُ: ارفعْ محمدُ، وقُلْ يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَه.

قالَ: فأرفع رأسي، فأثني على ربي بثناءٍ وتحميدٍ يُعلّمنيه، قالَ: ثم أشْفَعُ، فَيَحُدُّ لي حَدّاً، فَأَخْرُجُ، فأُدْخِلُهمُ الجنةَ، -قالَ قتادةُ: وسمعتُهُ يقولُ: فَأَخْرُجُ، فَأُخْرِجهم مِنَ النار، وأُدخلهمُ الجنةَ- ثم أعود الثالثة، فأستأذنُ على ربي في دارِهِ، فيؤذنُ لي عليهِ، فإذا رأيتُهُ وَقَعْتُ ساجداً، فَيَدَعُني ما شاءَ الله أنْ يَدَعَني، ثم يقولُ: ارْفَعْ محمدُ، وقُلْ يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، وسَلْ تُعْطَهْ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قالَ: فَأَرْفَعُ رأسي، فأثني على ربي بثناءٍ وتحميدٍ يُعلّمنيه، قالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدّاً، فَأَخْرُجُ، فأدخلهم الجنة، -قال قتادة: وقد سمعته يقول: فَأَخْرُجُ، فَأُخْرِجُهم مِنَ النار، وَأُدْخِلُهم الجنةَ- حتّى ما يَبْقَى في النار إلا مَنْ حَبَسَهُ القرآنُ -أي: وَجب عليه الخُلود-، ثم تلا الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، قال: وهذا المقامُ المحمودُ، الذي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ».

هذا حديث الشفاعة المشهور، وقد تقدم في باب قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾.

وقد جاء من رواية عدد من الصحابة، «وأول حديث أبي هريرة: «أنا سيد الناس يوم القيامة، يجمع الله الناس، الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون».

وزاد في رواية إسحاق بن راهويه: «فتدنو الشمس من رؤوسهم، فيشتد عليهم حرُّها، ويشق عليهم دنُوُّها، فينطلقون من الضجر والجوع مما هم فيه».

وأول حديث أبي بكر: «عُرض عليَّ ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيفظع الناس لذلك، والعرق كاد يلجمهم».

وفي حديث عبادة بن الصامت: «إني لسيد الناس يوم القيامة -بغير فخر-، وما من الناس إلا من هو تحت لوائي، ينتظر الفرج، وإن معي لواء الحمد»[1].

وبهذا يتبين أن قوله في رواية أنس: «يحبس المؤمنون يوم القيامة» أن قبله كلاماً محذوفاً، وأن المقصود الخلق عامة، ولهذا جاءت أكثر الروايات بالتعبير «بالناس».

وفي هذه الرواية -زائداً على ما تقدم-، ذكر الذنوب التي يعتذر بها الأنبياء، وتقدم أن هذا من الأدلة على وقع الذنوب في الجملة من الأنبياء، وتقدم الكلام في هذه المسألة.

ومن ذلك قوله: «فاستأذن على ربي في داره»، وتكرر ذلك ثلاثاً، قيل: المراد

(١) انظر «الفتح» (١١/ ٤٣٢).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجنة، والظاهر أن المراد مكان معين، كما في حديث الشفاعة الطويل «فآتي تحت العرش»، وفي حديث الصور: «فآتي مكاناً تحت العرش، يقال له: الفحص»، فيكون المعنى: المكان الذي تحت عرشه.

وما ذكره الحافظ، نقلاً عن الخطابي، أن قوله: «فأستأذن على ربي في داره» يوهم المكان، والله منزه عن ذلك، وإنما معناه في داره التي اتخذها لأوليائه، وهي الجنة، أضيفت إليه إضافة تشريف، مثل بيت الله وحرم الله»[1] .

فيقال له: ماذا تقصد بالمكان؟ إن كنت تريد مكانًا يحويه ويحيط به فالله -تعالى- منزه عن ذلك.

وإن كنت تريد أنه ليس فوق عرشه، عالٍ على خلقه، كما هو مذهب أهل الباطل من أشعرية ومعتزلة وغيرهم فقد أثبت الله -تعالى- ذلك لنفسه وأثبتته له رسله، واتفقت عليه كتبه، وأجمعت عليه أتباع الرسل، وفطر الله -تعالى- عليه خلقه، فإنكار ذلك عناد، ومكابرة للعقول السليمة من الانحراف، ومخالفة للشرع، وقد تقدم من الأدلة على ذلك ما يكفي بعضه لمن يريد الحق.

ومما لم يتقدم في الرواية السابقة قوله: «فأخْرُجُ، فأُخْرِجهم من النار» يعني: يخرج من المكان الذي استأذن في الدخول فيه.

وفيه ألفاظ أُخر تختلف عما سبق، ولكن المعنى متقارب.

والمقصود منه هنا قوله: «**فأستأذن على ربي في داره، فإذا رأيته وقعت ساجداً**» كرر ذلك ثلاث مرات، وهو صريح في أن الرسول ﷺ يرى ربه عياناً في ذلك المكان، فيسجد له، وإذا رآه جاز أن يراه غيره.

وأما تلاوة الآية إلى آخر قول أنس، فهو تفسير للمقام المحمود، وسيأتي.

وفي هذا الحديث إشكال ظاهر، حتى قال الداودي: «أول هذا الحديث ليس متصلاً بآخره، بل بقي بين طلبهم الشفاعة، وبين قوله: «**فأستشفع**»، أمور كثيرة من أمور القيامة»[2] ، وقال: «وكأن راوي الحديث ركّب شيئاً على غير أصله، وذلك

(١) «الفتح» (١٣/ ٤٢٩).

(٢) ذكره الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٢٦).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن أول الحديث في ذكر الشفاعة، في الإراحة من كرب الموقف، وآخره في الشفاعة لإخراج بعض العصاة من النار، وهذا إنما يكون بعد انتهاء الوقوف، والقضاء بين الخلق، وذهاب أهل الجنة إليها، وأهل النار إليها»، قال الحافظ: «وهذا إشكال قوي»[1].

ثم ذكر جوابه، عن القاضي عياض، قال: وتبعه عليه النووي.

وحاصله: أن الحديث فيه اختصار، وحذف، وذكر بعض الروايات التي تبين ذلك.

منها ما في حديث أُبي بن كعب، عند أبي يعلى: «ثم أمتدحه بمدحة يرضى بها عني، ثم يؤذن لي في الكلام، ثم تمر أمتي على الصراط، وهو منصوب بين ظهراني جهنم، فيمرون».

ومنها ما في رواية ابن عباس عند الإمام أحمد: «فيقول -عز وجل- يا محمد، ما تريد أن أصنع في أمتك؟ فأقول: يا رب، عجِّل حسابهم».

وذكر جواب القرطبي، «بأن قوله في حديث أبي هريرة: «أدْخل من أمتك من الباب الأيمن من أبواب الجنة من لا حساب عليه ولا عذاب»، فهذا يدل على الشفاعة في تعجيل الحساب»[2].

وذكر غير ذلك مما هو مخالف لظواهر الأحاديث، فلا يعول عليه.

وقال ابن أبي العز: «والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه، ولا يذكرون أمر الشفاعة الأولى، في إتيان الرب -تعالى- لفصل القضاء، مع أنه المقصود من سياق الحديث، فإن الناس يطلبون الشفاعة ليقضى بينهم، فيستريحوا من عناء الموقف، وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصور المشهور، فإن فيه:

«فأذهب فأسجد تحت العرش، في مكان يقال له: الفحص، فيقول الله: ما

(١) «الفتح» (١١/ ٤٣٧-٤٣٨) ببعض التصرف.

(٢) انظر «الفتح» (١١/ ٤٣٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شأنك؟ -وهو أعلم- فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة، فشفعني في خلقك، فاقض بينهم، فيقول سبحانه: شفعتك، أنا آتيكُم فأقضي بينهم، قال: فأرجع فأقف مع الناس»، ثم ذكر «انشقاق السموات، وتنزل الملائكة، ثم يجيء الرب -تعالى- لفصل القضاء» إلى آخره. وكأن السلف اقتصروا على هذا القدر من الحديث للرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها، فذكروا القدر الذي فيه التصريح بذلك»[1].

وبذلك يزول الإشكال، فإن حديث الصور مشهور، وإن كان سنده ضعيفاً، ولكن له شواهد كثيرة صحيحة، فيصلح أن يكون جوابًا لهذا الإشكال، والله أعلم.

وأما قوله تعالى: «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» فقال ابن جرير: «يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: أقم الصلاة المفروضة، في أوقاتها التي أمرتك بإقامتها فيها، ومن الليل فتهجد فرضاً فرضته عليك، لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاماً تقوم فيه محموداً، تحمده وتغبط فيه.

قال أكثر أهل العلم: إنه الشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه، من شدة ذلك اليوم ... ثم ذكر الآثار في ذلك.

وذكر بسنده، عن مجاهد: أن المقام المحمود: أن يجلسه معه على عرشه.

ثم قال: الصواب: ما صح به الخبر، أنه الشفاعة... وذكر بعض أحاديث الشفاعة، ثم قال: «وما قاله مجاهد، غير مدفوع صحته سنداً، ولا نظراً، إذ لا خبر عن رسول الله ﷺ ولا عن صحابته، ولا التابعين بإحالة ذلك»[2].

قال الحافظ: «الجمهور على أن المراد بالمقام المحمود: الشفاعة، وبالغ الواحدي ونقل فيه الإجماع.

ثم قال: والراجح أن المراد به الشفاعة، لكن الشفاعة التي وردت في الأحاديث المذكورة في المقام المحمود نوعان:

---

(١) «شرح الطحاوية» (ص١٩٣).

(٢) «تفسير الطبري» (١٥/ ١٤٣-١٤٧) ملخصاً.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأول: العامة في فصل القضاء.

والثاني: الشفاعة في إخراج المذنبين من النار»[1].

٦٨- قالَ: حدثنا عبيدُالله بنُ سعدِ بنِ إبراهيمَ، حدثني عَمِّي، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابنِ شهابٍ، قال: حدثني أنسُ بنُ مالكٍ -رضي الله عنه- «أنَّ رسولَ الله ﷺ أرْسَلَ إلى الأنصار فَجَمَعَهُمْ في قُبَّةٍ، وقالَ لهم: اصبِرُوا حتّى تَلْقَوْا الله ورَسُولَهُ، فإني عَلَى الحَوْضِ».

ذكر البخاري -رحمه الله- هذا الحديث من رواية أنس -رضي الله عنه- في سبعة مواضع غير هذا الموضع، منها في غزوة الطائف، ولفظه: «قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ﷺ ما أفاء، من أموال هوازن، فطفق النبي ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ، يعطي قريشًا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم.

قال أنس: فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار، فجمعهم في قبة من أدم، ولم يدعُ معهم غيرهم.

فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال: «ما حديث بلغني عنكم؟».

فقال فقهاء الأنصار: أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما أناس منا، حديثة أسنانهم، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال النبي ﷺ: «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر، أتألفهم؛ أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به»، قالوا: يا رسول الله قد رضينا، فقال لهم النبي ﷺ: «ستجدون أَثَرَةً شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإني على الحوض»[2].

وله ألفاظ وروايات متعددة، من رواية أنس وغيره.

والأثرة: اختصاص غيرهم واستبدادهم بما يستحقونه هم، والمعنى: أن الناس يختصون بالدنيا، ويستأثرون بها، دون الأنصار، مع استحقاق الأنصار لها وهم الذين اجتمعوا على نصرة رسول الله ﷺ وآووه إلى بلادهم، وعاقدوه على أن

(١) «الفتح» (١١/ ٤٢٦-٤٢٧) ملخصاً.

(٢) انظر «الفتح» (٨/ ٥٢).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ينصروه، ويمنعوه مما يمنعون أنفسهم وأولادهم منه، فلنصرهم لله ورسوله سموا الأنصار، وهو أشرف أسمائهم، وقد وقع لهم ما أخبرهم به رسول الله ﷺ، وذلك تقدير الحكيم العليم، حيث استأثر الناس عليهم بالدنيا، مع أنهم الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم، وهذا من فضل الله عليهم، حتى يجازيهم على أعمالهم الدرجات العالية في جنات عدن، فتظهر هناك فضيلتهم، ويغبطهم الناس الذين استأثروا عليهم بالدنيا أعظم غبطة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قوله: «جمعهم في قبة من أدم» القبة: كل ما كان مقبباً، وفي الأصل أن يكون عالي الوسط متداني الأطراف، والأدم: الجلود.

وتقدم تفسير الصبر.

وقوله: «حتى تلقوا الله ورسوله» هذا هو محل الشاهد من الحديث؛ لأن اللقاء يتضمن الرؤية والمعاينة كما قال أهل اللغة.

قال الأزهري: «كل شيء استقبل شيئاً، أو صادفه، فقد لقيه، من الأشياء كلها»[1].

وقال ابن فارس: «اللقاء: الملاقاة، توافي الاثنين متقابلَيْن، ولَقِيته لُقِياً، ولُقياناً، واللقية: فُعْلَة من اللقاء، والجمع: لُقىً، قال:

وإني لأهوى النوم من غير نعـ ... سة لعل لقياكم في المنام تكـون»[2]

وقال الراغب: «اللقاء: مقابلة الشيء ومصادفته معاً، وقد يعبر به على كل واحد منهما، يقال: لقيه يلقاه لقاء، ولقياً، ولقية.

ويقال ذلك: في الإدراك بالحس، وبالبصر، وبالبصيرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[4].

---

(١) «تهذيب اللغة» (٩/ ٢٩٩).

(٢) «مقاييس اللغة» (٥/ ٢٦١).

(٣) الآية ١٤٣ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ٦٢ من سورة الكهف.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وملاقاة الله عبارة عن القيامة، وعن المصير إليه، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2].

واللقاء: الملاقاة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[4]، وقال: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾[5]، أي: نسيتم القيامة، والبعث والنشور»[6]. وقد ذكر لقاء الله في القرآن في أكثر من عشرين موضعاً، كقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾[8]، وقوله تعالى: "﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾[10]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[11]، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾[12]، وقوله تعالى: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[13]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو

---

(١) الآية ٢٢٣ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.
(٣) الآية ١٥ من سورة يونس.
(٤) الآية ٦ من سورة الانشقاق.
(٥) الآية ١٤ من سورة السجدة.
(٦) «المفردات» (ص٤٥٣).
(٧) الآية ٤٤ من سورة الأحزاب.
(٨) الآية ٧٧ من سورة التوبة.
(٩) الآية ٣١ من سورة الأنعام.
(١٠) الآية ١٥٤ من سورة الأنعام.
(١١) الآية ٤٥ من سورة يونس.
(١٢) الآية ٥ من سورة العنكبوت.
(١٣) الآية ٢ من سورة الرعد.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾[5].

فمن قرأ هذه الآيات ونحوها مما لم نذكره، مؤمناً بها، علم يقيناً أن مضمونها إخبار الله تعالى بأن العبد سيلقى ربه، لقاء يتضمن المحاسبة والكلام والمقابلة والمعاينة، والجزاء بالعمل الذي كان العبد يعمله في الدنيا.

ولم يزل أهل السُّنَّة من السلف، وأتباعهم، يستدلون بمثل هذه الآيات على رؤية الله تعالى.

وسيأتي حديث عدي بن حاتم، وفيه: «واعلموا أن كل واحد منكم سيلقى ربه، ليس بينه وبينه ترجمان» .

فمن أنكر ذلك فقد خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسلك غير سبيل المؤمنين.

والله -تعالى- جعل التكذيب بلقائه كفراً، لا ينفع معه عمل كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[6].

قال ابن بطة: «سمعت أبا عمر الزاهد اللغوي يقول: سمعت أبا العباس أحمد

---

(١) الآية الأخيرة من سورة الكهف.
(٢) الآية ٨ من سورة الروم.
(٣) الآية ٥٤ من سورة فصلت.
(٥) الآية ١٠٥ من سورة الكهف.
(٥) الآية ٢٣ من سورة العنكبوت.
(٦) الآية ٢٣ من سورة العنكبوت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابن يحيى يقول في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾[1]: أجمع أهل اللغة أن اللقاء ها هنا لا يكون إلا معاينة ونظرة بالأبصار»[2].

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: «اللقاء فسَّره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن رؤيته -سبحانه وتعالى-، واحتجوا بآيات اللقاء على من أنكر رؤية الله في الآخرة، من الجهمية والمعتزلة وغيرهم.

وجعلوا اللقاء يتضمن معنيين، **أحدهما**: السير إلى الملك.

والثاني: معاينته، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾[3].

فذكر أنه يكدح إلى الله فيلاقيه، والكدح يتضمن السلوك والسير إليه، واللقاء يعقبهما.

وأما المعاينة من غير سير إلى المعاين -كمعاينة الشمس، والقمر- فلا يسمى لقاء.

وقول الذين يجعلون المراد من اللقاء، هو الجزاء دون لقاء الله معلوم الفساد بالاضطرار، بعد تدبر الكتاب والسُّنَّة.

ويظهر فساده من وجوه:

أحدها: أنه خلاف التفاسير المأثورة عن الصحابة والتابعين.

الثاني: أن حذف المضاف إليه لا بد أن يقارنه قرائن تبين ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾[4]، ولو قال قائل: رأيت زيداً أو لقيته، وأراد بذلك أنه رأى غلامه، أو أباه، أو لقيهما، لم يجز ذلك في لغة العرب بلا نزاع.

ولقاء الله -تعالى- قد ذكر في كتاب الله وسنة رسوله في مواضع كثيرة مطلقاً غير مقترن بما يدل على أنه أريد بلقاء الله بعض مخلوقاته من ثواب وغيره.

---

(١) الآيتان ٤٣-٤٤ من سورة الأحزاب.

(٢) انظر «مجموع الفتاوي» (٦/ ٤٨٨).

(٣) الآية ٦ من سورة الانشقاق.

(٤) الآية ٨٢ من سورة يوسف.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الثالث: أن اللفظ إذا تكرر ذكره في الكتاب، ودار مرة بعد مرة على وجه واحد، وكان المراد به غير مفهومه ومقتضاه عند الإطلاق، ولم يبين ذلك، كان تدليساً وتلبيساً يجب أن يصان كلام الله عنه، الذي أخبر أنه شفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، وأنه بيان للناس.

وقد علم أن الرسول ﷺ بلغ البلاغ المبين، وأنه بين للناس ما نزل إليهم.

وأما قول أهل البدع: إن القرينة الدالة على أن لقاء الله غير مراد من هذه النصوص: هو ما في العقل من امتناع ذلك وإحالته.

فهو مردود من وجهين:

أحدهما: أنه ليس في العقل ما يمنع ذلك، بل البراهين العقلية تتفق مع القرآن، كما قال الله -تعالى-: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾[1].

وما يدعيه نفاة لقاء الله ورؤيته من الحجج العقلية التي تخالف ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله، ليست حججاً، وإنما هي شبهات فاسدة، عند من له خبرة جيدة بالمعقولات، وإنما تنطلي على المقلدين.

الثاني: أنه لو فرض أن هناك دليلاً عقلياً ينافي مدلول القرآن لكان خفياً، له مقدمات طويلة، متنازع فيها، ليس فيها واحدة متفق عليها، والواقع أنها شبهات فاسدة، أورثها صدودهم عن كتاب الله.

ومن الضروري أن الذي أخبر أنه بيان للناس، وأن كلامه هدى ورحمة، وشفاء، وبلاغ مبين، إذا أراد بكلامه الموصوف بما ذكر ما يقوله هؤلاء المتكلمون، فإنه بعكس تلك الأوصاف، فيكون فيه الضلال، واللبس؛ لأنه لا يدل على قولهم.

واتفاق المسلمين على وجوب تنزيه كلام الله ورسوله من ذلك أمر ضروري.

الوجه الرابع: أنه سيأتي في حديث ابن عباس، قول الرسول ﷺ: «أنت الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق». ففرق بين لقائه، وبين الجنة والنار.

ومعلوم أن الجنة والنار، تتضمن جزاء المطيعين، والعصاة، فعلم أن لقاء الله

(١) الآية ٦ من سورة سبأ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غير لقاء الثواب والعقاب.

الوجه الخامس: ما بينه رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة أن العباد سوف يلقون ربهم، وقد ذكر البخاري في هذا الباب قليلاً منها، مثل حديث عدي بن حاتم «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه حاجب يحجبه، ولا ترجمان».

الوجه السادس: أنه لو أريد بلقاء الله ما يخلقه من ثواب أو عقاب أو غير ذلك لكان ذلك واقعًا في الدنيا والآخرة، كما في عقاب الأمم المكذبة ونصر المؤمنين وإسعادهم.

وقد علم أتباع رسول الله ﷺ أن لقاء الله -تعالى- لا يكون إلا بعد الموت.

كما علموا بطلان قول أهل البدع: إن لقاء الله هو لقاء بعض مخلوقاته.

وعلى قولهم، فليس في اللفظ ما يدل على تعيين مخلوق دون مخلوق، فإذا قالوا: إن لقاء الله هو الجنة أو النار، جاز أن يقال: بل هو بعض ملائكته أو بعض الشياطين، أو غير ذلك، إذ ليس دلالة اللفظ على تعيين هذا بأولى من دلالته على تعيين هذا، فبطل قولهم.

الوجه السابع: أن لقاء الله لم يستعمل في لقاء غيره، لا حقيقة ولا مجازاً، بل وفي المخلوق كذلك، فلا يقال: لقيت زيداً، وأنت تريد عمراً.

الوجه الثامن: النصوص الكثيرة التي تفرق بين لقاء الله وثوابه وجزائه، كقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[1]، فلو كان لقاؤه هو لقاء جزائه، لكان هو الأجر الكريم، ولا يحسن أن يخبر بأنه أعده لهم بعد ما حصل لهم؛ لأنهم لقوه، فلقاؤه وسيلة، وإعداد الأجر الكريم مقصود، فكيف يخبر بالوسيلة بعد حصول المقصود.

ومثل هذا يصان عنه كلام أوسط الناس، فضلاً عن كلام رب العالمين، ولا سيما وقد قرن اللقاء بالتحية، التي لا تكون إلا في اللقاء.

الوجه التاسع: ما في الحديث من قوله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله

(١) الآية ٤٤ من سورة الأحزاب.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»[1]، فلو كان لقاء الله هو جزاءه لامتنع أن يحب جزاء عبدٍ ويكره جزاء آخر.

والله تعالى لا يكره جزاء عباده بما يستحقون، بل يحب ذلك، ولا يجزيهم إلا بما يستحقون، والجزاء لا يلقاه الله -تعالى-. ودلائل بطلان هذا القول لا حصر لها»[2].

فيكتفى بما ذكر، وبذلك يتضح أن معنى قوله ﷺ للأنصار: «اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله» يتضمن معاينتهم لربهم، وتكليمه لهم ومجازاتهم، وتكريمه لهم بمخاطبتهم قبل أن يدخلهم دار النعيم الأبدي.

فهو ﷺ يقول لهم: تسلَّوا عما فاتكم من الدنيا مما تستحقونه، بما يكون لكم بعد البعث من الموت، عندما تلقون ربكم، فيكرمكم بتحيته لكم ومخاطبتكم، ورؤيتكم إياه، فذلكم اليوم الذي تسعدون فيه حقاً.

وكذلك تلاقون نبيكم على حوضه، الذي منّ الله به عليه، فأكرمه به في الموقف الذي يشتد فيه الظمأ، فأنتم أحق من يرد ذلك الحوض، فتشربون منه دون معوق، أو مكدر، فلا ينالكم بعد ذلك نصب، ولا وصب، ولا ظمأ، ولا أذى.

٦٩- قال: «حدثني ثابتُ بنُ محمدٍ، حدثنا سفيانُ، عن ابنِ جُرَيْجٍ، عن سليمانَ الأَحْوَلِ، عن طاوُسٍ، عن ابنِ عباسٍ -رضي الله عنهما- قالَ: كانَ النبيُّ ﷺ إذا تَهَجَّدَ مِنَ الليلِ قال: اللهمَّ ربَنا لكَ الحَمْدُ، أنتَ قَيِّمُ السمواتِ والأرضِ، ولك الحمدُ، أنت رَبُّ السموات والأرضِ وَمَنْ فيهنّ، ولك الحمدُ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، أنتَ الحقُّ، وَقَوْلُكَ الحقُّ، وَوَعْدُكَ الحقُّ، ولقاؤكَ الحقُّ، والجنةُ حَقٌّ، والنارُ حَقٌّ، والساعةُ حَقٌّ، اللهمَّ لَكَ أسْلَمْتُ، وبكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإليكَ خاصَمْتُ، وبكَ حاكَمْتُ، فاغفرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وما أنتَ أَعْلَمُ به مِني، لا إلهَ إلاّ أنْتَ».

قال أبو عبدِ الله: قالَ قيسُ بنُ سعدٍ، وأبو الزُّبَيْرِ، عن طاوُسٍ: قَيّامُ.

وقال مجاهدٌ: القَيُّومُ: القائمُ على كُلِّ شيءٍ، وقرأ عُمَرُ: القَيّامُ، وكلاهما مَدْحٌ».

---

(١) رواه البخاري، انظر «الفتح» (١١/ ٣٥٧) في الرقاق، ورواه مسلم في «الذكر والدعاء» (٤/ ٢٠٦٥، ٢٠٦٦، ٢٠٦٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» بتصرف وتلخيص (٦/ ٤٦٢-٤٧٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقدم شرح هذا الحديث، والمقصود منه هنا قوله: «**أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق**» ففرق بين لقائه وجزائه، بقوله: «ووعدك حق، ولقاؤك حق، والنار حق».

فلقاؤه غير وعده، وغير جزائه، الذي هو الجنة والنار.

فدل على أن تفسير لقائه بثوابه أو نحو ذلك تفسير باطل، لم يدل عليه لا كتاب ولا سنة، بل الأدلة من الكتاب والسُّنَّة تبين بطلانه.

وبذلك يتبين أن لقاءه -تعالى- يتضمن رؤيته، ومعاينته، وهو ما أراده البخاري من هذا الحديث، وذلك ما قاله السلف، وهو واضح.

٧٠- قال: «حدثنا يُوسُفُ بنُ مُوسَى، حدثنا أبو أُسامةَ، حدثني الأَعْمَشُ، عن خَيْثَمَةَ، عن عَدِيٍّ بن حاتِمٍ، قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما مِنكم مِنْ أحدٍ إلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، ليسَ بينَهُ وبينَهُ تُرْجُمانٌ، ولا حِجابٌ يَحْجُبُهُ».

قوله: «ما منكم من أحد» الخطاب للصحابة، ويتناول جميع المؤمنين، سابقهم ولاحقهم، برهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة.

والترجمان: هو الواسطة بين اثنين أو أكثر الذي ينقل الكلام من لغة إلى أخرى، أو يبلغ عن المتكلم كلامه.

والمقصود هنا أنه ليس بين العبد وربه أحد يبلغه عنه، لا من الملائكة ولا من البشر.

بل الله -تعالى- هو الذي يتولى كلام عباده في ذلك الموقف بنفسه، فيحاسبهم على أعمالهم، وقد بين ذلك في لفظ الحديث، لكن الإمام البخاري -رحمه الله- اختصره، واقتصر على محل الشاهد منه.

ولفظه: «بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل.

فقال: يا عدي، هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد نبئت عنها.

قال: فإن طالت بك حياة لَتَرَيَنَّ الظعينة[1] ترتحل من الحيرة حتى تطوف

(١) الظعينة: الهودج فيه المرأة، وهو شبه الغرفة الصغيرة يوضع فوق البعير، فتركب في وسطه المرأة ليسترها، والظعن هو: الخروج من المكان والسير.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله. -قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعار طيء[1] الذين سعروا البلاد؟- ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز.

ولئن طالت بك الحياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من الذهب أو الفضة، يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحدًا يقبله منه.

وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى.

فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم.

قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة.

قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ﷺ يخرج ملء كفه»[2].

وفي رواية: «كنت عند رسول ﷺ فجاء رجلان، أحدهما يشكو العيلة، والآخر يشكو قطع السبيل، فقال رسول الله ﷺ: «أما قطع السبيل فإنه لا يأتي عليك إلا قليل حتى تخرج العير إلى مكة بغير خفير[3].

وأما العيلة، فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه.

ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً؟ فليقولن: بلى، ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا

---

(١) الدُّعار -بضم الدال- مأخوذ من الدعارة، وهي: الخبث، والتلصص، وقطع الطريق.

(٢) انظر البخاري (٦/ ١١٠)، وانظر «فتح الباري» (٦/ ٦١٠).

(٣) الخفير: هو من يحمي سالك الطريق ويجيره ممن يريده بسوء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النار، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة»[1].

ففي هاتين الروايتين بيان جلي بأن الله -تعالى- يتولى كلام عباده ومحاسبتهم بنفسه بدون واسطة بينه وبينهم، وفي ضمن ذلك رؤيته -تعالى- وسماع كلامه.

قوله: «ولا حجاب يحجبه» أي: ليس بين العبد وبين ربه ما يمنع رؤيته ومشاهدته. و هذا ظاهر الدلالة على رؤية المؤمن ربه يوم يحاسبه، وعلى سماعه كلامه.

وفيه دليل على أن لله تعالى حجاباً يحتجب به عن خلقه، والأدلة على ذلك كثيرة، وأهل البدع ينكرون حجاب الله تعالى، فهو عندهم كما يقول الفخر الرازي: «هو عبارة عن الجسم المتوسط بين جسمين آخرين. وهذا محال على الله»[2].

ونقل الحافظ عن ابن بطال، أن الحجاب هو: الآفة المانعة من النظر التي تكون على أبصار المؤمنين، ومعنى رفع الحجاب: إزالة الآفة من أبصار المؤمنين المانعة لهم من الرؤية، فيرونه لارتفاعها عنهم، بخلق ضدها فيهم»[3].

ومقتضى هذا الكلام أن الذي يمنع المؤمنين في الدنيا من رؤية الله تعالى هو الآفة التي على أبصارهم، ولو زالت تلك الآفة لرأوه.

فالحجاب عند هؤلاء: هو عدم الإدراك في أبصار الخلق، وما وصف به الله -تعالى- من الحجاب راجع إلى الخلق. وشبهتهم: أن ما ستر بالحجاب، فالحجاب أكبر منه، ويكون متناهياً، ومحاذياً للحجاب، وهذا لا يكون إلا للأجسام.

نقل ابن حجر، عن العلائي قوله: «**المراد بالحاجب، والحجاب: نفي المانع من الرؤية**» ثم قال: «**وقد ورد ذكر الحجاب في عدة أحاديث صحيحة**.

والله -سبحانه- منزه عما يحجبه، إذ الحجاب إنما يحيط بمقدر محسوس، ولكن المراد بحجابه: منعه أبصار خلقه وبصائرهم بما شاء متى شاء كيف شاء، وإذا شاء

---

(١) انظر «فتح الباري» (٣/ ٢٨١).
(٢) «تأسيس التقديس» (ص٩٩).
(٣) «الفتح» (١٣/ ٤٣٠).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كشف ذلك عنهم»[1].

وهكذا شراح الحديث وغيرهم الأشاعرة ساروا على هذا المنوال.

ويلزم من ذلك أن الله -تعالى- وصف نفسه وكذلك رسوله وصفه بما يجب أن ينزه عنه، فهؤلاء المبتدعة أعلم من الله ومن رسوله بالله، وأحرص على تنزيه الله من الله ورسوله، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[2].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[4]، وعدم الإدراك الذي زعموا ليس شيئاً موجوداً فيكون حائلاً دون رؤيتهم ربهم، بل هو عدم، والعدم لا وجود له.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، فتجلّيه للجبل يدل على أنه محتجب بحجاب كشف للجبل منه ما جعله دكًّا.

وفي صحيح مسلم، عن أبي موسى الأشعري، قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[6].

ومعلوم أن بصر الله تعالى لا ينتهي دون شيء، ولا يحول دونه شيء، فهو بكل شيء بصير، فلولا الحجاب الذي احتجب به لما بقي شيء من المخلوقات إلا ذاب واحترق،

---

(١) المرجع المذكور (ص٤٣١).
(٢) الآية ٥ من سورة الكهف.
(٣) الآية ٥٢ من سورة الشورى.
(٤) الآية ١٥ من سورة المطففين.
(٥) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.
(٦) انظر «صحيح مسلم» (١/ ١٦٢) الحديث رقم (١٧٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فكيف جاز لهؤلاء الذين جعلوا أقيستهم وعقولهم هي الحكم على ما يوصف الله -تعالى- به، وما يمتنع عليه أن يحكموا على الله بامتناع الحجب عليه تعالى.

وسيأتي حديث أبي موسى، وفيه: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

وفي «صحيح مسلم»، عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله -تبارك وتعالى-: «تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتُنَجِّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم -عز وجل»[1].

والنصوص في إثبات الحجب لله -تعالى- كثيرة، يؤمن بها أتباع رسول الله ﷺ، ويعلمون بما ورثوه من نور النبوة بأن الله -تعالى- احتجب بالنور، وبالنار، وبما شاء من الحجب، وأنه لو كشف عن وجهه الكريم الحجاب لما قام لنوره شيء من الخلق، بل يحترق، ولكنه تعالى في الدار الآخرة يكمل خلق المؤمنين ويقويهم على النظر إليه -تعالى- فينعمون بذلك، بل هو أعلى نعيمهم يوم القيامة.

وقد تولى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إبطال شبه هؤلاء المنكرين لحجب الله -تعالى- في كتابه «نقض تأسيس الجهمية، وإبطال بدعهم الكلامية» بوجوه كثيرة، أكثر من أربعين وجهاً، كل وجه منها كاف في إبطال قولهم.

قال -رحمه الله-: «**أحدها**: أنهم يقولون: إن الحجاب هو ما يخلقه الله في العين من الرؤية المتعلقة به تعالى. وهذا باطل بالضرورة؛ لأنهم فسروا الحجاب بعدم الإدراك في أبصارهم، والعدم لا يخلق ولا وجود له، فهو ليس شيئاً.

الثاني: أنه ثبت في الحديث قوله: «**فيكشف الحجاب، فينظرون إليه**»، وكشف الشيء: إزالته ورفعه، وهذا لا يوصف به المعدوم، فإنه لا يزال ولا يرفع، وإنما الذي يُزال ويُرفع الموجود.

الثالث: أنه قال: «فيكشف الحجاب فينظرون إليه»، فجعل النظر متعقباً لكشف الحجاب. وعند هؤلاء المبتدعة: الحجاب هو عدم خلق الرؤية، وضده

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ١٦٣) الحديث رقم (١٨١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خلق الرؤية، فيكون زوال ذلك العدم هو عين الرؤية، لا يكون شيئاً يتعقب [كشف] الحجاب، وتقدم أن العدم ليس شيئاً.

الرابع: أن في الحديث: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه». ولو كان كما زعموا هو خلق الرؤية لم يكن كشف ذلك يحرق شيئاً. فالمؤمنون يرون ربهم في عرصات القيامة، وفي الجنة، ولا تحرق رؤيتهم شيئاً.

الخامس: [أنه] ثبت في «الصحيحين»: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه، في جنة عدن». وعلى قول هؤلاء: ما بينهم وبين أن ينظروا إليه إلا زوال ذلك العدم بخلق الرؤية في أعينهم.

ومعلوم أن عدم خلق الرؤية فيهم ليس هو رداء الكبرياء، ولا هو على وجه الله الكريم، ولا هو في جنة عدن، ولا هو شيء أصلا حتى يوصف بصفات الموجود.

السادس: أن من تأمل نصوص الكتاب والسُّنَّة، وما ورد في ذلك من الآثار عن الصحابة والتابعين علم بالضرورة علمًا يقينًا لا يستريب فيه أن لله حجاباً، وحجبًا منفصلة عن العباد، يكشفها إذا شاء، فيتجلى، وإذا شاء لم يكشفها.

وإذا كان الحجاب كما يقول الرازي وذووه: «هو الجسم المتوسط بين جسمين» فلازم الحق حق، لا يمكن أن يدفع حيث علم بالاضطرار من دين المرسلين، فلا يدفع بما أحدثه سلف الرازي وأئمته، ولا بما يشنعون به على أهل السُّنَّة من اصطلاحات وألفاظ ابتدعوها، ما أنزل الله بها من سلطان.

فإن من أعظم بدعهم قولهم: «إن الله ليس بجوهر ولا جسم»، وهذا هو الصنم الأكبر الذي صدوا به عباد الله عن معرفته، والإيمان به، وهو الذي عُطِّل الله به من أسمائه وصفاته.

بل هو أساس الشرك والردة والنفاق، وإن كان قد اغتر به طوائف من أهل الإيمان، لم يعلموا ما قصده واضعوه الذين أفسدوا به فطرة العباد التي فطرهم الله عليها، وأفسدوا به معاني كتاب الله ،وصدوا به عن سبيل الله.

وهو لهؤلاء المبتدعة كاللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى للمشركين القدماء.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فإن الله -تعالى- لم ينزل في شيء من كتبه، ولا قال أحد من رسله، ولا أحد من ورثتهم: إن الله ليس بجوهر ولا جسم، وإن كان إثبات ذلك أيضاً بدعة وضلالة، إلا أن نفيه أعظم وأضل.

أن الله -تعالى- قال: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾، ومعلوم أن هذا التكليم مثل ما حصل لموسى، وهو أرفع درجة من التكليم بالوحي وإرسال الرسول باتفاق المسلمين، كما دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة.

فإذا كان الحجاب كما يقول هؤلاء: هو عدم خلق الرؤية، فذلك مشترك بين الأقسام الثلاثة، فلا يكون لمن كُلِّم من وراء حجاب ميزة، وبطلان ذلك ظاهر.

وقوله تعالى: ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ معناه: من خلف حجاب، وعدم خلق الرؤية عدم محض، ليس له خلف ولا أمام، فعلم أن الحق إثبات الحجاب لله حقيقة؛ لأنه موجود.

والتقدير على قولهم: أن يقال: «أو من وراء عدم خلق الرؤية» وهذا يشبه كلام المجانين، ولا يجعل هذا معنى كلام الله إلا زنديق متلاعب بالقرآن.

الثامن: أنه تعالى قال في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[1]، فجعل حجابهم يوم القيامة، ولو كان الحجاب هو عدم خلق الرؤية لكانوا محجوبين في الدنيا والآخرة، ولكان المؤمنون أيضًا داخلين في ذلك، معذبين بهذا الحجاب الذي عذب به الكفار في الآخرة ولكنه حجاب خاص يحجب الله به الكفار حين يتجلى للأبرار.

ثم هذا الذي قالوه في الحجاب حمل للفظ على ما لا تحتمله اللغة بوجه من الوجوه فهو تبديل للغة، كما هو تحريف للقرآن وتبديل لمعانيه»[2].

قوله: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب

(١) الآية ١٥ من سورة المطففين.

(٢) «نقض التأسيس»، بتصرف وتلخيص، وانظر بقية الوجوه فيه (٣/ ١٤٥-١٥٤) مخطوط.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يحجبه».

وفي رواية «حاجب» وهذا يدل على وجود الحاجب كما تقدم، ويدل على جواز أن يكون له ترجمان يبلغ عنه.

وقد جاء نص القرآن بأن التكليم يكون من وراء حجاب، وعلى قول المنكرين للحجاب لا يمكن أن يكون بينه وبين عباده حجاب حقيقي ولا ترجمان، وهذا يلزم منه إما إنكار وجود الله، أو أنه حالٌّ مع خلقه، تعالى الله عن ذلك.

ومذهبهم في المسألتين من أعظم الباطل -أعني الرؤية والكلام- لأنهم يقولون: التكليم: هو خلق إدراك الكلام؛ لأن كلام الله معنى قائم بنفسه.

كما أنهم يقولون: الرؤية هي رفع الموانع، وخلق الرؤية في العين، فعلى هذا يكون الذي يراه المؤمنون في الجنة شيئاً مخلوقاً، والنصوص تبطل ذلك، وكذلك العقل والفطر إذا سلمت من الانتكاس، والتغيير.

٧١- قال: «حدثنا عَليُّ بنُ عبدِالله، حدثنا عبدُالعزيزِ بنُ عبدِالصمدِ، عن أبي عِمْرانَ، عن أبي بَكْرِ بنِ عبدِالله بنِ قَيْسٍ، عن أبيهِ، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «جَنَّتان مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُما وما فِيهما، وجَنَّتان مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُما وما فِيهما، وما بينَ القومِ وبينَ أن يَنْظُروا إلى رَبِّهم إلاّ رِداءُ الكِبْرياءِ على وجهه في جَنَّةِ عَدْنٍ».

قال الحافظ: في رواية الحارث بن عبيد، عن أبي عمران الجوني، في أول هذا الحديث: «جنان الفردوس أربع، ثنتان من ذهب» ...الخ.

وهذا يبين أن الحديث قد حذف شيء من أوله.

وهو يدل على تفاوت منازل الجنة ودرجاتها، فبعضها أعلى من بعض حسًّا ومعنى، حيث يكون بناؤها من الذهب، وأوانيها من الذهب، ومعلوم أن الذهب هو أغلى المعادن وأنفسها لدى المخاطبين بالقرآن عند نزوله، ويجوز أن يكون فيها ما هو أعلى من الذهب وأرفع؛ لأن الله -تعالى- أخبر أن فيها ما لا عين رأته، ولا أذن سمعته، ولا خطر على قلب بشر، وتقدم البحث في درجات الجنة.

قوله: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا الشاهد من الحديث للباب، إذ فيه التصريح بقرب نظرهم إلى ربهم فإذا أراد تعالى أن ينعمهم ويزيد في كرامتهم رفع رداء الكبرياء عن وجهه فنظروا إليه، وفي الرواية التي ذكرها في «التفسير»، «رداء الكبر على وجهه»[1].

لقد تخبط شراح الحديث هنا من الأشاعرة تخبطهم في كثير من صفات الله -تعالى- فأخرجوا كلام رسول الله ﷺ عن ظاهره إلى المجازات البعيدة، وطلبوا له التأويلات المستكرهة، تحريفاً له وتعطيلاً لله من أوصافه، ظانين أن ما وصفه به رسوله في مثل هذا الحديث فيه تجسيم وتشبيه، كما هي طريقتهم.

نقل الحافظ كثيراً من كلامهم على هذا الحديث، فنقل عن القاضي عياض قوله: «**من أجرى هذا الكلام على ظاهره أفضى به إلى التجسيم**».

وقال الكرماني: «هذا من المتشابهات، فإما مفوض، وإما متأول بأن المراد من الوجه الذات، والرداء صفة من صفات الذات اللازمة، المنزه عما يشبه المخلوقات»، وقال المازري: «عبر عن زوال الموانع، ورفعها عن أبصارهم برداء الكبرياء»[2].

ونحن نجيبهم عما قالوا بجوابين، أحدهما مجمل، والآخر مفصل.

أما المجمل، فنقول: نحن لا نشك، ولا يشك مسلم عرف رسول الله ﷺ وعرف قدره، أنه أفصح منكم، وأقدر على بيان الحق وإيضاح ما يريد منكم ومن أئمتكم، وأنه أنصح للأمة وأشفق عليها وأحرص على هدايتها، وسد طرق الكفر والضلال عنها منكم ومن غيركم، وأنه أعلم بالله وما يجب له وما يمتنع عليه، وأنه أخشى لله وأتقى له، فمع ذلك يمتنع أن يتكلم بما ظاهره الكفر والضلال، أو بما يؤدي إلى الباطل، بل كلامه فيه الهدى والنور والعصمة من الضلال والانحراف لمن آمن به واتبعه.

بخلاف كلام غيره من الناس فإنه لا بد من عرضه على قول الله وقول رسوله، فإن وافقه قبل، وإلا رد على قائله.

فالحق قطعاً فيما قاله رسول الله ﷺ وليس في قول من خالفه ممن يتلقى

(١) انظر البخاري (٦/ ١٢١) تفسير سورة الرحمن.

(٢) انظر بقية كلامهم في «الفتح» (١٣/ ٤٣٣) فإني اختصرته.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عقيدته عن أهل الكلام والفلسفة المبنية على آراء الرجال وتخرصاتهم.

وأما الجواب المفصل: فمن وجوه:

أحدها: أن ما قالوه خلاف ظاهر النصوص، كما صرحوا بذلك، وليس في اللفظ المذكور ولا في غيره مما جاء عن الرسول ﷺ ما يدل على ما قالوه.

ومعلوم أن صرف اللفظ عن ظاهره يحتاج إلى دليل يدل على ذلك، وإلا صار التأويل تحريفاً وتلاعباً.

أما ما يدعون من قرينة دلالة العقل، فمجرد دعوى تفتقر إلى برهان، والحق أن العقل يدل على ما دل عليه نص الشرع.

الوجه الثاني: أنه قال: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»، ومن المعلوم أن الكبرياء من صفات الله -تعالى- ولا يجوز للعباد أن يتصفوا بها، فقد توعد الله المتكبر بجهنم، كما قال -تعالى-: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾[1].

وفي الحديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[2].

فلا يجوز أن يكون رداء الكبرياء إلا وصفاً لله -تعالى- فبطل قولهم: «إن المقصود من رداء الكبرياء: زوال الموانع».

الوجه الثالث: أنه أضاف رداء الكبرياء إلى وجه الله الكريم حجاباً له، فقال: «إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»، فلا يجوز أن يكون رداء الكبرياء ما في أعين العباد من المانع الذي منعهم من رؤية الله كما يقوله هؤلاء، وقيد ذلك في جنة عدن.

وعلى مقتضى قولهم أنه لو زال المانع عن أعين العباد لرأوه في الدنيا.

الوجه الرابع: أنه ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: قال الله -تعالى-: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار»[3].

---

(١) الآية ٧٢ من سورة الزمر.

(٢) رواه مسلم (١/ ٩٣).

(٣) رواه أبو داود في «السنن» (٤/ ٣٥٠).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ورواه مسلم، ولفظه: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته»[1].

ورواه ابن ماجه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله سبحانه: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم»[2].

ووصف الله -تعالى- بأن العظمة إزاره، والكبرياء رداؤه، كسائر صفاته، تثبت على ما يليق به، ويجب أن يؤمن بها على ما أفاده النص دون تحريف ولا تعطيل.

قوله: «في جنة عدن» قيد لكونهم ليس بينهم وبين أن ينظروا إلى وجه ربهم -جل وعلا- إلا رداء الكبرياء.

وهذا دليل على فضل جنة عدن، وعلوها، ومن لازم ذلك علو الله -تعالى-؛ لأنهم ينظرون إليه -تعالى- من فوقهم، وتقدم بحث ذلك بما فيه كفاية.

وأما قول ابن بطال: «لا تعلق به للمجسمة في إثبات المكان؛ لما ثبت من استحالة أن يكون جسماً، أو حالاً في مكان.

فيكون تأويل الرداء: الآفة الموجودة في أبصارهم، المانعة لهم من رؤيته، وسماه رداء لتنزله في المنع منزلة الرداء الذي يحجب الوجه عن رؤيته، فأطلق عليه الرداء مجازاً، وقوله: «في جنة عدن» راجع إلى القوم»[3].

فيقال له أولاً: من هم المجسمة؟ ومعلوم أنه يقصد من أثبت أن الله فوق عرشه، وأنه يراه أهل الجنة من فوقهم، ولا شك أن نصوص الكتاب والسُّنَّة في إثبات ذلك أكثر من أن يحاط بها.

وعلى اصطلاح ابن بطال وذويه كل من أثبت ذلك فهو مجسم.

والله -تعالى- قد أثبت ذلك لنفسه، وأثبته رسوله له، ونحن نتبع ذلك، سواء سماه أهل البدع تجسيماً وشنعوا على من اعتقده، أو قاله، أو لم يسموه، فإنه هو الحق الذي لا مرية فيه عند أهله.

وأما **قوله: «لما ثبت من استحالة أن يكون -سبحانه- جسماً، أو حالاً في مكان»** فكما سبق أن هذه البدعة هي التي عُطل رب العالمين من أسمائه وصفاته

(١) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٢٣) رقم (٢٦٢٠).
(٢) انظر ابن ماجه (٢/ ١٣٩٧) رقم (٤١٧٤).
(٣) «الفتح» (١٣/ ٤٣٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بها، وأنها الصنم الذي عبده المتكلمون، وصدوا به عباد الله عن معرفته وعبادته بأسمائه وصفاته.

ثم هذا القول من ابن بطال ومن قال به مجرد دعوى، لا برهان عليها، فمن أين لهم استحالة أن يكون الله في مكانه، وكتب الله وسنة رسوله ظاهرة في ذلك جلية تنادي بأن الله فوق عرشه مستو عليه، عال على خلقه؟

أما يستحيون من الدعاوى الكاذبة، التي يريدون بها التشنيع على أتباع الرسل؟!

وقد علم أن مقصودهم بالجسم: ما شغل مكاناً، أو ما يصلح أن يقال إنه هنا أو هناك، أو ما صحت الإشارة إليه، أو ما كان له مقدار.

وتقدم من الأدلة على استواء الله -تعالى- على عرشه، وعلوه على خلقه، وأنه يشار إليه، ويقال: إنه في السماء، ما فيه مقنع لمن يريد الحق.

وأما قوله: «في جنة عدن راجع إلى القوم» فمراده: أن القوم في جنة عدن، وأنه لا يجوز أن يقال: إن الله يُرى في جنة عدن، وإنما معناه الإخبار بأن القوم في جنة عدن.

فيقال: **أولاً**: هذا رد صريح لقول رسول الله ﷺ وكفى بذلك ضلالاً وبعداً عن سبيل المؤمنين.

ويقال: **ثانياً**: إن هذا من جنس تأويلات أهل البدع الباردة، التي لا تصدر عن عربي يعرف معنى ما يقول، فضلاً عن رسول الله ﷺ الذي هو أفصح العرب، وكونهم في جنة عدن قد علم من أول الحديث؛ لأنه قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما»...الخ، ثم أخبر أن رؤيتهم لربهم قريبة، ليس دونها إلا رفع الحجاب، فهم يرونه في جنة عدن من فوقهم، يوضحه الحديث المتقدم: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وسقفه عرش الرحمن»، ومن أجل ذلك أورده البخاري -رحمه الله- في هذا الباب مستدلاً به على رؤية الله -تعالى- كما هو واضح وصريح في ذلك.

٧٢- قال: «حدثنا الحُمَيْدِيُّ، حدثنا سفيانُ، حدثنا عبدُالملكِ بنُ أَعْيَنَ، وجامعُ ابنُ أبي راشدٍ، عن أبي وائلٍ، عن عبدِالله -رضيَ الله عنه- قالَ: قالَ رسولُ الله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ مالَ امرئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كاذبةٍ لَقِيَ الله وَهُوَ عليهِ غَضْبانُ».

قال عبدُ الله: ثُمَّ قَرَأَ رسولُ الله ﷺ مصداقَهُ مِنْ كتابِ الله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾[1] الآية.

قوله: «من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة» «مَن» مِن أدوات العموم، والأغلب أن تكون لخطاب من يعقل.

و«مال» نكرة، أضيفت إلى نكرة موصوفة بالإسلام، فشملت كل مسلم، وكل ما يسمى مالاً، قليلاً كان أو كثيراً.

روى الطبراني من حديث جابر بن عتيك، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة، وأوجب له النار»، قالوا: يا رسول الله! وإنْ شيء يسير؟ قال: «وإن كان سواكاً»[2].

ورواه الحاكم، ولفظه: «من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأدخله النار»، قالوا: يا رسول الله! وإن كان شيئا يسيرا؟ قال: «وإن كان سواكًا، وإن كان سواكًا» قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة[3]. وقال الذهبي: صحيح.

«اقتطع» من القطع؛ لأنه قطعه عن صاحبه، أو أخذ قطعة من ماله بالحلف الكاذب.

قوله: «لقي الله وهو عليه غضبان» هذا محل الشاهد من الحديث الذي أورده من أجله، وتقدم أن اللقاء يتضمن النظر والمعاينة، وأن السلف استدلوا بلفظ اللقاء على الرؤية.

قال الحافظ: «في حديث وائل بن حجر عند مسلم: «لقي الله وهو عنه معرض».

---

(١) الآية ٧٧ من سورة آل عمران.

(٢) «معجم الطبراني الكبير» (٢/ ٢١٠).

(٣) «المستدرك» (٤/ ٢٩٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي رواية كردوس، عن الأشعث، عند أبي داود: «لقي الله وهو أجذم». قال: وفي حديث أبي أمامة عند مسلم، والنسائي، نحو ما في هذا الحديث: «فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة»، وفي حديث عمران، عند أبي داود «فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وهذا وعيد شديد جداً لمن يفعل ذلك، فعلى المسلم أن يحذر كل الحذر من أموال المسلمين بأي وسيلة كانت، فإن ذلك من أسباب سخط الله تعالى.

قوله: «مصداقه من كتاب الله جل ذكره» إلى آخره، أي: الذي يصدق هذا الحديث ويوافقه.

قال ابن كثير: «يقول تعالى: إن الذين يعتاضون عما عاهدهم عليه من اتباع محمد ﷺ، وذكر صفته للناس وبيان أمره، وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الآثمة، بالأثمان القليلة الزهيدة -وهي عروض الدنيا الزائلة- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: لا نصيب لهم فيها، ولا حظ لهم منها، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ برحمة منه لهم، بمعنى: لا يكلمهم كلام لطف بهم، ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ أي: من الذنوب، والأدناس، بل يأمر بهم إلى النار، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] مؤلم شديد الألم.

قال الحافظ: «يؤخذ من الآية تفسير قوله: **«لقي الله وهو عليه غضبان»**، ومقتضاه: أن الغضب سبب لمنع الكلام، والرؤية، والرضا سبب لوجودهما»[3].

وفيه وصف الله -تعالى- بالغضب، وأنه يغضب على بعض عباده بسبب ذنوبهم، وفيه أن الغضب غير العقاب، وإذا كان يغضب فهو تعالى يرضى، والأدلة على ذلك كثيرة.

٧٣- قال: «حدثنا عبدُالله بنُ محمدٍ، حدثنا سفيانُ، عن عَمْرٍو، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «ثلاثةٌ لا يُكلّمهم الله يومَ القيامةِ ولا يَنْظُرُ إليهم: رَجُلٌ حَلَفَ على سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بها أكثر مما أَعْطَى، وهو كاذبٌ، ورجلٌ

(١) «الفتح» (١١/ ٥٥٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥١) ط الشعب.

(٣) «الفتح» (١٣/ ٤٣٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حَلَفَ على يمينٍ كاذبةٍ بعدَ العَصْرِ؛ ليَقْتَطِعَ بها مالَ امرئٍ مُسْلِمٍ، ورجلٌ مَنَعَ فَضْلَ ماءٍ، فيقولُ اللهُ -تعالى- يومَ القيامةِ: اليومَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي، كما منعتَ فَضْلَ ما لم تَعْمَلْ يداكَ».

قوله: «ثلاثة لا يكلمهم الله» أي: ثلاثة من أجناس الناس، يعم الذكور والإناث، والأحرار والعبيد.

وعدم تكليم الله لهم يوم القيامة دليل على غضبه عليهم، ومقتضاه: أنهم يذهب بهم إلى النار بدون سؤال ومحاسبة؛ لأنهم قد تناهى جرمهم في القبح، فاستحقوا أليم العذاب، مع الإعراض عنهم وإهانتهم من أول الأمر، فيكون هذا الحديث مخصصاً لحديث عدي السابق، وهو قوله: **«ما منكم من أحد إلاَّ سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»**.

وقوله: «ولا ينظر إليهم» نظر الله -تعالى- إلى العبد يقتضي الرحمة، وهؤلاء فعلوا أفعالاً مقتهم الله عليها، فأعرض عنهم، ومن أعرض الله عنه فهو هالك، الهلاك الأكبر.

والمقصود بالنظر المنفي هنا، نظر خاص يتضمن الإحسان والرحمة، ويفهم منه نظر العبد إلى الله -تعالى- لا يحجب بصره شيء أبداً، في أي وقت كان.

وهذا القدر من الحديث: أعني قوله: **«لا يكلمهم ولا ينظر إليهم يوم القيامة»** هو محل الشاهد لما مر، ولأن الكلام والنظر المقيد بيوم القيامة يدل على اللقاء، واللقاء يتضمن المعاينة.

ثم ذكر أفعالهم التي استحقوا عليها هذا الوعيد الشديد، وهي ثلاثة أنواع:

أحدها: الحلف على السلعة التي يريد بيعها، أنه أعطى بها أكثر مما يريد المشتري أن يأخذها به، وهو كاذب في حلفه، وذلك لأنه اشترى بيمينه ثمناً قليلاً بخساً، مما يدل على رغبته في الدنيا وزهده في الآخرة، واليمين دين يتعبد الله به، فمن خاف الله في يمينه، فلم يكذب فهو من المتقين في ذلك.

ومن بذل يمينه بعرض من الدنيا فهو فاجر يستحق العقوبة، مستخف بحرمات الله.

والسلعة هي: كل بضاعة عرضت للبيع.

والنوع الثاني -وهو أخص من الذي قبله- وهو الحلف على يمين كاذبة بعد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العصر، ليقتطع بها مال امرئ مسلم، وهذا يكون عند من يحكم بين الحالف والمحلوف له، وهو الحاكم؛ لأن المحلوف له يلزم بأن هذا المال للحالف بمقتضى يمينه، وهذا هو معنى الاقتطاع.

وخص المسلم لأن ماله أشد حرمة، وحقه على أخيه المسلم أعظم، وإلا فمال الكافر غير المحارب لا يجوز أخذه إلا بحق.

وخص وقت بعد العصر لفضله، ولأنه آخر النهار الذي أثنى الله على المسبحين فيه لقرب نهاية النهار وختم عمله، وقرب الليل الذي فيه النوم المذكر بالمصير إلى الله -تعالى-، وهو وقت أصوات الداعين لله والمسبحين.

وهذه اليمين هي الغموس سميت بذلك؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم فلا يخرج منه إلا أن يشاء الله -تعالى- فإنه يخرج الحي من الميت.

النوع الثالث: منع فضل الماء الذي زاد عن حاجته، ويحتاج إليه سالك الطريق؛ وذلك لأن الماء يتجدد بدله كلما أخذ منه، ولا يضر بذله، فمانعه لا يكون إلا لئيماً خبيث النفس، يقصد الأذية، وليس لديه رحمة للخلق، ولا رغبة في الخير.

وفهم من **قوله**: «**فضل ماء**» أن ما يحتاجه لشربه هو ومن يلزمه إعاشته لا يلزمه بذله.

ولكون الماء يتجدد بما أخذ منه، ولا صنع للإنسان فيه، كالطعام مثلاً واللباس الذي يحتاج معالجة وعملاً، لأجل ذلك يقول الله -تعالى- يوم القيامة: «اليوم أمنعك فضلي، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك».

ومن منع فضل الله فهو الخاسر الخسران الأبدي.

وقوله: «**يقول الله**» إلى آخره، لا يعارض أول الحديث أن هؤلاء لا يكلمهم الله، لأنه لا يلزم أن يكون هذا القول مواجهاً به صاحب هذا العمل فقد يكون للملائكة الذين يتولون عذابه، أو غير ذلك، والله أعلم.

٧٤- قال: «حدثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى، حدثنا عبدُالوهابِ، حدثنا أيوبُ، عن محمدٍ، عن ابنِ أبي بَكْرَةَ، عن أبي بَكْرَةَ، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «الزَّمانُ قد استدارَ كهيئتِهِ يومَ خلَقَ الله السموات والأرضَ، السنةُ اثنا عَشَرَ شَهَراً، منها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثلاثٌ متواليات، ذو القعدةِ، وذو الحَجَّةِ، والمُحَرَّمُ، ورَجَب مُضَر، الذي بين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جُمَادى وشعبان. أي شهر هذا؟» قلنا: الله ورسولُهُ أعلمُ، فسكتَ حتى ظَنَنّا أَنَّهُ يُسَمِّيه بغير اسمِهِ، قال: «أليسَ ذا الحجة؟» قلنا: بَلَى.

قال: «أي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسولُهُ أعلمُ، فسكتَ حتى ظَنَنّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيه بغير اسمِهِ، قال: «أليسَ البلدةَ؟» قلنا: بَلَى، قال: «فأي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكتَ حتى ظَنَنّا أنه سيسميهِ بغيرِ اسمِهِ، قال: «أليسَ يومَ النحرِ؟» قلنا: بَلَى.

قال: «فإنَّ دماءَكم وأموالَكم -قال محمد: وأحسبه قال: وأعراضَكم- عليكم حرامٌ، كحرمةِ يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم.

ألا فلا تَرْجِعُوا بعدي ضُلاّلاً، يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ، ألا لِيُبْلِغ الشاهدُ الغائبَ، فلعل بعضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أنْ يكونَ أَوْعَى مِنْ بعضِ مَنْ سَمِعَهُ».

فكانَ محمدٌ إذا ذَكَرَهُ، قال: صدق النبيُّ ﷺ، ثم قال: «ألاَ هَلْ بَلَّغْتُ، ألا هَلْ بلغتُ».

هذا الحديث قاله ﷺ في خطبته العظيمة يوم النحر، في حجة الوداع، وفي هذا الحديث بيان وجوب الاجتماع على الحق، والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعظم حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، ووجوب سلوك طريقه ﷺ، وبيان أن الله -تعالى- أتم عليهم نعمته بنبيه، وأخذهم بما جاء به.

وحذرهم من ترك هذا الهدى والرجوع إلى الضلال وكفر النعمة والفرقة الداعية إلى التصارم والقتال، فإن ذلك من الكفر.

وبين أن الزمان قد عاد كما خلقه الله، بعد تبديل المشركين الشهور المحرمة بالتقديم والتأخير حسب أهوائهم، حتى يستحلوا القتال في الأشهر الحرم.

وفيه بيان تأكد حرمة الأشهر الحرم التي حرمها الله يوم خلق السموات والأرض، وحرمة مكة، وأن هذا التحريم مستمر إلى يوم القيامة لا يستحله إلا من جانب طريق الرسل، وأحل شعائر الله والشهر الحرام والبلد الحرام، وذلك من العظائم.

قوله: «الزمان قد استدار، كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» كان المشركون لا يستحلون القتال في الأشهر الحرم، ولما كان منها ثلاثة متواليات،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

طالت عليهم، فتحيلوا على تأخير المحرم وتقديم صفر مكانه، فيحلون المحرم عاماً ويحرمون صفر بدله ويحرمونه عاماً، فيجعلون المحرم هو صفر في هذا العام مثلاً، وفي العام الآخر يبقون المحرم وصفر على ما هما عليه، يفعلون ذلك تحيلاً على استحلال القتال، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[1].

فيستحلون القتال في الشهر الحرام، ويسمونه بغير اسمه، ويحرمونه في الشهر الحلال ويسمونه محرمًا؛ ليتفق ذلك مع عدة ما حرم الله -تعالى- من الأشهر؛ لأن توالى ثلاثة شهور محرمة يطول عليهم، ففعلوا ذلك لأجل قتال أعدائهم، ولغير ذلك من أغراضهم.

وفي السَّنة التي حج فيها النبي ﷺ اتفق أن الأشهر الثلاثة كلها محرمة، لأنها السَّنة التي كانوا يحرمون القتال في محرم على ما هو عليه، ولهذا قال ﷺ: «الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» أي: رجع تحريم الأشهر الحرم في حساب المشركين وعملهم متفقًا مع حكم الله وشرعه، فقد جعل الله السَّنة اثني عشر شهراً، منها أربعة حرم، يحرم القتال فيها، والظلم فيها أعظم منه في غيرها.

قال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس، «كان جنادة بن عوف بن أمية الكناني، يوافي الموسم في كل عام، وكان يُكْنَى أبا ثمامة، فينادي: ألا إن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب، ألا إن محرم العام الأول هذا العام حلال، فيحله الناس، فيحرم صفر عامًا ويحرم المحرم عاماً».

قال شاعرهم -وهو عمير بن قيس الذي يقال له: جذل الطعان- يفتخر بذلك:

لقد علمت معدٌ بأن قومي ... كرام الناس إن لهم كراما
ألسنا الناسئين على مَعَدٍّ ... شهور الحل نجعلها حراما
فأي الناس لم ندرك بوتر ... وأي الناس لم نعلك لجاما

وقوله: «ورجب مضر» إضافة إليهم؛ لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه وحرمة القتال فيه، أكثر من غيرهم، وكان بعض العرب يعمل فيه ما يعملونه في محرم

(١) الآية ٣٧ من سورة التوبة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حسب حاجتهم إلى القتال.

وقوله: «الذي بين جمادى وشعبان» تأكيد لتعريفه، ونَصٌّ عليه.

والمراد بالزمان في قوله: «**إن الزمان قد استدار**»: السَّنة.

قال الخطابي: «كانوا يخالفون بين أشهر السنة بالتحليل والتحريم والتقديم والتأخير؛ لأسباب تعرض لهم.

منها: استعجال الحرب، فيستحلون الشهر الحرام، ثم يحرمون بدله شهراً غيره، فتتحول بذلك السنة وتتبدل، فإذا أتى عدة من السنين استدار الزمان، وعاد الأمر إلى أصله، فاتفق وقوع حجة النبي ﷺ عند ذلك»[1].

فعلى هذا يكون المراد بالزمان: مطلقه.

قوله: «**أي شهر هذا؟**» إلى قوله: «**أليس يوم النحر؟**» لما كان متقرراً عندهم حرمة ذي الحجة وحرمة البلد الحرام، وحرمة يوم النحر، أراد ﷺ أن يؤكد تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم بالتمثيل البالغ في الحرمة منتهاها.

وفيه تعظيم شأن الدماء والأموال والأعراض وشدة حرمتها، حيث قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا»، فهذا غاية ما يمثل به شدة حرمة الشيء وتعظيمه.

وقد صح أن أول ما يبدأ به في المُقَاصَّة بين الناس يوم القيامة: الدماءُ.

قوله: «**وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم**» هذا هو المقصود من الحديث؛ لأنه ظاهر في مواجهتهم لله -تعالى- ومخاطبته لهم، فيدل على أنهم يرونه، كما تقدم أن اللقا يتضمن المعاينة والرؤية.

وهذه الجملة تأكيد لما سبق من ذكر حرمة الدماء، وما عطف عليها، إذ المعنى: إذا تأكد لديكم شدة حرمة ذلك، فاحذروا أن تقعوا فيه، فإنكم سوف تلاقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، وهو أعلم بها منكم.

والسؤال يتضمن الجزاء.

وقوله: «**فلا ترجعوا بعدي ضلالاً، يضرب بعضكم رقاب بعض**» أي: إياكم

---

(١) انظر «فتح الباري» (٨/ ٣٢٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن تعرضوا عما تركتكم عليه، وحضضتكم عليه، وهو التمسك بكتاب ربكم وسنة نبيكم، فإنه الصراط المستقيم، الذي يوصلكم إلى الجنة والسعادة في الدنيا والآخرة، فإنكم إن ملتم عن ذلكم ضللتم الطريق السوي، وارتكبتم أعظم ما حذرتكم منه، وهو الوقوع في الدماء، فيصبح بعضكم يضرب رقاب بعض، وهذا هو الضلال.

قوله: «ألا ليبلغ الشاهد الغائب» هذا من الواجب الذي لا يجوز الإخلال به أو التساهل؛ لأن الأمة لا تصلح إلا بمعرفة ما جاء به ﷺ والعمل به، كما قال الإمام مالك: «إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها».

ولما جهلت الأمة طريق الرسول كثر الضلال فيها، والتخبط في ظلمات الجهل والخرافة، فظهرت فيها الرافضة والصوفية، والباطنية، والملاحدة والزنادقة، وكل منهم يدعي أن الحق معه لا يعدوه، ومن خالفه فهو ضال أو كافر حلال الدم والمال، وغالب ذلك بسبب الجهل بما جاء به الرسول ﷺ وإن كان رؤساء هذه الطرق بالغالب ملاحدة يتسترون بالإسلام، هدفهم هدمه من أساسه، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

قوله: «فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى من بعض من سمعه».

الوعي: هو الفهم والمعرفة ثم الامتثال، والمراد تبليغ أقواله ﷺ المتضمنة لأحكام الدين الذي جاء به.

وقوله: «فلعل» مشعر بقلة ذلك، ولهذا جاء في رواية بدل «فلعل» «رُبَّ» المفيدة للتقليل.

قال الحافظ: «فيه الحث على تبليغ العلم، وجواز التحمل قبل كمال الأهلية، وأن الفهم ليس شرطاً في الأداء، وأنه يأتي في الآخر من يكون أفهم من بعض من تقدم ولكن بقلة»[1].

هذه النصوص التي ذكرها المؤلف -رحمه الله- كلها دلت دلالة متنوعة على أن الله -تعالى- يُرى في الآخرة.

منها ما هو نص جلي لا يحتمل أي تأويل، مثل قوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر».

---

(١) «الفتح» (١/ ١٥٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقوله: «إنكم سترون ربكم عياناً».

وقوله جواباً لسؤالهم: «هل نرى ربنا يوم القيامة؟» فقال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟ قالوا: لا، قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ، إلا كما تضارون في رؤيتهما».

وقوله: «فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه».

وقوله في حديث الشفاعة: «فأستأذن على ربي في داره، فيؤذن لي، فإذا رأيته وقعت ساجداً»، كرر ذلك مراراً، كل هذه الألفاظ صريحة في الرؤية، غير قابلة لتأويل وصرف عن ظاهرها.

فلا عذر لمن خالفها، ولا حجة له، إلا اتباع الهوى، والتقليد الأعمى أو التعصب، أو الضلال البعيد، أو الكفر والجحود.

فقد وضح مراد النبي ﷺ من هذه الأحاديث لكل عاقل، عارف باللغة، لا يستريب في ذلك من عرف دلالة الألفاظ على المعاني؛ أن مراده بهذه الألفاظ المذكورة رؤيتهم إياه بأبصارهم، وليس في الممكن أوضح من هذه العبارات.

وهناك نصوص كثيرة غير ما ذكره هنا دالة على رؤية الله -تعالى- في الآخرة دلالة ظاهرة، استقصاها كثير ممن ألف في هذا الموضوع.

قال ابن القيم: «اتَّفَقَ [على أن الله يُرَى في الآخرة] الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون.

وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مَسبَّةِ أصحاب رسول الله عاكفون، وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون.

وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون، أولئك أحزاب الضلال، وشيعة اللعين، وأعداء الرسول وحزبه»[1].

---

(١) «حادي الأرواح» (ص٢١٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال شيخ الإسلام: «والذي يجب على كل مسلم اعتقاده: هو أن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة، في عرصة القيامة[1] ، وبعد ما يدخلون الجنة، على ما تواترت به الأحاديث، عن النبي ﷺ عند العلماء بالحديث، فإنه أخبر أنا نرى ربنا كما نرى القمر ليلة البدر، والشمس عند الظهيرة، لا نُضَام في رؤيته»[2].

واعلم أن الذين أنكروا رؤية الله -تعالى- اعتمدوا على شبه سموها براهين عقلية، وتعلقوا ببعض الآيات والأخبار، وهي في الحقيقة مبطلة لقولهم.

ومن أعظم الفرق إنكاراً لرؤية الله -تعالى- بالأبصار: المعتزلة، وبنوا إنكارهم لها على التشبيه المستكن في نفوسهم؛ لأنهم بنوا علمهم على الجدل، الذي أصله القياس المبني على تشبيه الغائب بالمشاهد. فإذا نظرت فيما ذكروه وجدت ذلك واضحاً في استدلالاتهم وتعليلاتهم إلى جانب التعصب للآراء.

قال عبدالجبار: «قال أهل العدل بأسرهم والزيدية والخوارج وأكثر المرجئة: لا يجوز أن يُرَى الله -تعالى- بالبصر، ولا يدرك به على وجه لا لحجاب ومانع، لكن لأن ذلك يستحيل»[3].

١- ثم استدل «بأن الرؤية لا تصح إلا بحاسة البصر، والله لا يجوز أن يوصف بأن له حواس»[4] فالله عنده لا يَرى ولا يُرى تعالى الله عن ذلك.

٢- «ولأن البصر لا يصح أن يَرَى إلا ما كان مقابلاً، أو في حكم المقابل، وهذا لا يكون إلا للجسم ذي الألوان، وهو محال على الله»[5].

٣- «ما يصح أن يُرى لا يجوز أن يختص بصحة رؤيته بعض الرائين دون بعض، كما أن ما يصح أن يُعلم لا يجوز أن يختص بالعلم به بعض الأحياء دون

---

(١) عرصة القيامة، أو عرصاتها: هي مواقفها التي يقف الناس فيها مجتمعين.
(٢) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٨٥).
(٣) «المغني» للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٤/ ١٣٩).
(٤) المصدر السابق (ص٣٦).
(٥) المصدر السابق (ص١٤٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعض»[1].

٤- «ولأن الموانع من الرؤية لا تختص بشيء تصح رؤيته دون شيء، وهي القرب المفرط، والبعد المفرط، والحجاب، واللطافة، والرقة، وأن يكون المرئي في غير جهة محاذاة الرائي، أو يكون حالاً فيما هذا سبيله، فإذا زالت هذه الموانع، وجب أن يُرى ما صحت رؤيته»[2] والحجاب عندهم مستحيل على الله، كما تقدم.

فهذه جملة من أدلة هذه الفرقة، التي يسمونها براهين، إذا تأملها العاقل وجدها مبنية على قياس رب العالمين على المخلوق، وتحكيم الآراء، ولهذا ذهبت هيبة الله وعظمته من قلوبهم، واستخفوا بكتابه، فاجتهدوا في تحريف معانيه وصرفه عما قصد به.

والمقصود ذكر بعض أدلتهم العقلية -كما يقولون- وهي في الحقيقة شبه داحضة، وضلالات بيِّنة لمن عرف الحق.

وهم لا يقبلون أحاديث رسول الله ﷺ، وإن كانت أسانيدها في غاية الصحة والجودة، ويقبلون قول فلان وفلان؛ لأنهم يزعمون أن ذلك براهين عقلية.

فقوله: «إن الله لا يُرى بالبصر لا لحجاب يحجبه، أو مانع يمنع رؤيته، لكن لأن رؤيته مستحيلة» فيقال له: هذا مجرد دعوى غير مقبولة، وهو في مقابلة قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

وقوله في المعذبين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وفسر رسول الله ﷺ الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، كما في «صحيح مسلم»، وهو أيضًا مصادم لقول رسول الله ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته» كما سبق.

---

(١) المصدر السابق (ص٨٩).

(٢) المصدر السابق (ص١١٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأيهما أحق بالاتباع: قول طائفة الاعتزال، عبّاد الآراء والأهواء، أم قول الله ورسوله؟ إن المقارنة بين هذا وهذا غير سائغة ولا مقبولة، لولا أن المسلمين قد بُلُوا بمن يعظّم آراء المعتزلة ويرى لها وزناً.

وكل ما أشرنا إليه عن المعتزلة هو في مقابلة النصوص الصحيحة الصريحة، فلا يسوغ لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر الاعتداد بها، أو جعلها أدلة على أمر قد بان ووضح غاية الوضوح من كتاب الله وسنة رسوله.

«وقد ثبت اتفاق سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وثبت في النصوص المتواترة عن النبي ﷺ أنه قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته».

وقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، وكما ترون القمر صحواً ليس دونه سحاب»[1].

وقولهم: «إن ما يُرى يجب أن يكون مقابلاً للرائي، وأن يكون متحيزاً في جهة، ولا يكون ذلك إلا لجسم، والله يتعالى عن ذلك؛ لأن هذا صفة المحدث.

وهذا شيء لازم للرؤية، ولهذا سخر المعتزلة وغيرهم من الأشعرية لما قالوا: إن الله يُرى لا من جهة؛ لأن هذه رؤية غير معقولة؛ لإثباتهم الرؤية ونفيهم الجهة.

وأهل السُّنَّة يقولون: لا مانع من كون المرئي -الذي هو رب العالمين -جل وعلا- في مقابلة الرائين من عباده المؤمنين، فهم يرونه من فوقهم، كما صرحت به النصوص، ولا محذور فيه.

وأما اللوازم الباطلة التي يدعيها المعتزلة وغيرهم فهي منتفية عن الله تعالى.

ونحن نستفسر منهم: ما مرادكم بكونه مقابلاً للرائ؟ هل تريدون أنه لا بد له من مكان يحويه ويحيط به؟ فإن كان هذا ما أردتم فالله -تعالى- له مكان هو فوق عرشه، ولا يحيط به شيء، ولا يحويه شيء -جل وعلا- وهو أكبر من كل شيء وأعظم، فهو -تعالى- يطوي السموات كلها بيمينه، ويقبض الأرض كلها بيده الأخرى، وتكون كالخردلة في يد أحدنا، ولله المثل الأعلى.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

(١) «نقض التأسيس» (٢/ ٤٠٦).

الإهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

وأما التحيز، فإن أردتم أن الله مختلط بخلقه لئلا يلزم أن يكون متحيزاً، فنحن نكفر بقولكم هذا، ونتيقن أنه باطل، والنصوص من الشرع ترده، وكذلك العقل يرده.

وإن أردتم أن الله لا حقيقة له تميزه عن خلقه، فكذلك هذا كفر وضلال.

وإن أردتم أن الله -تعالى- متميز من خلقه، وأنه بائن منه، فهذا حق، والنصوص فيه أكثر من أن تحصى، وهو ما يعتقده المسلمون ويؤمنون به، واتفق عليه سلف هذه الأمة وأئمتها قبل ظهور المعتزلة والفرق الضالة، ومثل ذلك يقال في الجهة.

وتقدم من أدلة الكتاب والسُّنَّة، والعقل، وإجماع أهل الحق، وأدلة الفطرة التي فطر الله الناس عليها، على أن الله في السماء مستوٍ على عرشه، عالٍ على خلقه ما يكفي عن ذكر شيء من ذلك هنا.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: «كون الرؤية مستلزمة لأن يكون الله في جهة من الرائي أمر ثبت بالنصوص المتواترة، كما في قوله: «**هل تضامون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ولا قتر؟**». **قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه كذلك»**. وذكر الحديث بطوله.

قال أبو سعيد: أشهد لحفظته من رسول الله ﷺ.

فهذا فيه مع إخباره أنهم يرونه، إخبارهم أنهم يرونه في جهة منهم، من وجوه:

أحدها: أن الرؤية في لغتهم لا تعرف إلا لرؤية ما يكون في جهة منهم، فأما رؤية ما ليس في جهة فلم يكونوا يتصورونه، فضلا عن أن يكون اللفظ دالا عليه، بل لا يتصور أحد من الناس وجود موجود في غير جهة.

الثاني: أنه قال: «فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس صحواً، وكما ترون القمر صحواً» فشبه لهم رؤيته برؤية الشمس والقمر، وهما يريان من جهة.

الثالث: أنه قال: «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليس دونه سحاب؟».

---

(١) الآية ٦٧ من سورة الزمر.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فشبه رؤيته برؤية أظهر المرئيات، إذا لم يكن ثم حجاب منفصل عن الرائي يحول بينه وبين المرئي.

وفي لفظ في «الصحيح»: «إنكم ترون ربكم عياناً»[1].

«فقد أخبرنا أنا نراه، وأخبرنا أيضاً أنه قد استوى على العرش ، فهذه النصوص يصدق بعضها بعضاً، والعقل أيضاً يوافقها، ويدل على أنه سبحانه مباين لمخلوقاته، وأنه فوق سماواته، وأن وجود موجود لا مباين للعالم، ولا مداخل له، محال في بديهة العقل .

فإذا كانت رؤيته تعالى مستلزمة هذه المعاني التي شنعتم بها، فهي حق، وإذا سميتم أنتم هذا قولاً بالجهة والتجسيم، لم تكن هذه التسمية نافية لما علم بالشرع والعقل .

ثم يقال : ما تعنون بقولكم: إن هذا إثبات للجهة، والجهة ممتنعة على الله؟ أتعنون بالجهة أمراً وجودياً، أو أمراً عدمياً؟

فإن أردتم الأول، فقد علم أنه ليس هناك موجود إلا الخالق والمخلوق، والله -تعالى- فوق مخلوقاته، بائن منها .

وعليه فليس الله -تعالى- في جهة موجودة .

وقولكم: إن المرئي لا بد أن يكون في جهة موجودة، باطل، فإن سطح العالم مرئي، وليس هو في عالم آخر.

وإن فسرتم الجهة بأمر عدمي -كما تقولون-: «إن الجسم في حيز، والحيز تقدير مكان، وتجعلون ما وراء العالم حيزاً».

فيقال: الجهة والحيز إذا كانا أمراً عدمياً فهو ليس شيئاً، وما كان في جهة عدمية أو في حيز عدمي فليس هو في شيء.

ولا فرق بين قول القائل: هذا ليس في شيء، وبين **قوله: هو في العدم، أو أمر عدمي.**

فإذا كان الخالق -تعالى- مبايناً للمخلوقات عالياً عليها، وما ثم موجود إلا

(١) «نقض التأسيس» (٢/ ٤٠٩-٤١٥) ملخصاً.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الخالق، أو المخلوق، لم يكن معه غيره من الموجودات، فضلاً عن أن يكون هو سبحانه في شيء موجود يحصره ويحيط به»[1].

«وقوله ﷺ: «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليس دونه سحاب؟» تشبيه لرؤيتهم لربهم برؤية أظهر المرئيات، إذا لم يكن بينهم وبينها حجاب منفصل عنهم يحول بينهم وبين المرئي.

ومن يقول: إنه يُرى في غير جهة، يمتنع عنده أن يكون بينه وبين العباد حجاب منفصل، إذ الحجاب لا يكون إلا للجسم ولما يكون في جهة.

والحجاب عندهم عدم خلق الإدراك في العين، كما تقدم.

الرابع: أنه أخبر أنهم لا يضارون في رؤيته، وفي رواية «لا يضامون»، ونفي الضير، والضيم، إنما يكون لما يمكن لحوقه للرائي، ومعلوم أن رؤية ما ليس بجهة من الرائي، لا فوقه، ولا في شيء من جهاته، لا يتصور فيها ضير ولا ضيم حتى ينفي ذلك.

وقد روى ابن ماجه، عن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، قال: وذلك قول الله -تعالى- ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾.

قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته في ديارهم»[2] وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند، فإن الأدلة الصحيحة تؤيده.

الخامس: أن كون الله -تعالى- يُرى بجهة من الرائي، ثبت بإجماع السلف، ونصوصهم في ذلك مشهورة.

«فسلف الأمة وأئمتها متفقون على أن الله يُرى في الآخرة عيانًا كما نرى الشمس والقمر، وأنه لا يلزم من تعذر رؤية الشيء في حال تعذُّرها في حال أخرى، بل قد يرى الشيء في حال دون حال، كما أن الأنبياءَ يرون ما لا يراه

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٥٣-٢٥٤) ببعض التصرف.
(٢) «سنن ابن ماجه» (١/ ٦٥-٦٦)، رقم (١٨٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غيرهم»[1].

السادس: «أن كل موجود قائم بنفسه فلا بد أن يكون في جهة، والله -تعالى- هو الحق، وهو فوق خلقه، عال عليهم»[2].

وأما ما تعلقوا به من مثل قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ونحو ذلك، فكله يدل على عكس ما قالوا.

والإدراك المنفي هو الإحاطة، وليست الرؤية، كما بيّن ذلك حبر الأمة ابن عباس، ومثّل ذلك بالسماء، والشمس، حيث قال للسائل: «ألستَ ترى السماء؟ قال: بلى. فقال: أكلها ترى؟ قال: لا. قال: فالله أعظم».

وما يذكر عنه أنه فسر الآية بنفى الرؤية كذب عليه.

وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[3].

فأثبت الرؤية ونفى الإدراك، فدل ذلك على أن الإدراك غير الرؤية. وبهذا أجاب العلماء عن استدلالهم بهذه الآية.

□□□

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ١٣٢).

(٢) «نقض التأسيس» (٢/ ٤٠٩-٤١٥) ملخصاً.

(٣) الآيتان ٦١، ٦٢ من سورة الشعراء.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال: «بابُ ما جاءَ في قولِ الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

الرحمة المضافة إلى الله -تعالى- تكون صفة له ذاتية، كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5]. ونحو ذلك وهو كثير.

وتكون مفعولاً له مخلوقاً، وهي من أثر صفة الرحمة الذاتية، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَا﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾[7].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾[8].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾[9] وهو أيضاً كثير.

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «خلق الله مائة رحمة، فوضع واحدة بين خلقه، وخبّأ عنده مِائةً إلا واحدة»[10].

ومثله ما يأتي من قوله: «فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء».

ومراده بيان أن الرحمة تطلق على المخلوق، فتكون مخلوقة لله مفعولاً له، وذلك من آثار رحمته التي هي صفته تعالى، كما في قوله ﷺ جواباً لسعد بن عبادة، لما قال

(١) الآية ٥٦ من سورة الأعراف.
(٢) الآية ١٥٦ من سورة الأعراف.
(٣) الآية ١٣٢ من سورة الأنعام.
(٤) الآية ١٤٧ من سورة الأنعام.
(٥) الآية ٢١٨ من سورة البقرة.
(٦) الآية ٢١ من سورة يونس.
(٧) الآية ٩ من سورة هود.
(٨) الآية ٤٨ من سورة الفرقان.
(٩) الآية ٦٣ من سورة النمل.
(١٠) رواه مسلم، انظر (١٧/ ٦٩) بشرح النووي.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

له: ما هذا؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

ولكن أشار إلى هذا اللفظ كعادته بذكره غير الصريح، والاكتفاء بالتلويح.

وفي الآية التي ترجم بها إشارة إلى مراده، فكأنه لحظ أن الرحمة فيها الجنة، وهي قريب من المحسنين، كما في الحديث: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شِرَاك نعله، والنار مثل ذلك» يعني: من المسيئين.

وبذلك تظهر المناسبة بين الآية المترجم بها وأحاديث الباب. والله أعلم».

وقال الحافظ: «المراد أنه يدخل من أحسن الجنة التي وعد المتقين برحمته، وقد قال للجنة: أنت رحمتي، وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وبهذا تظهر مناسبة الحديث للترجمة، والعلم عند الله»[1].

وليس هذا من التأويل المذموم؛ لأنه من المعنى الذي دلت عليه الآية ضمناً، وإلا فمنطوقها دال على صفة الرحمة الموصوف بها رب العالمين -جل وعلا-.

ومما يبين ذلك أن هذه الآية جاءت عقب الأمر بالدعاء تضرعاً وخفية والنهي عن الاعتداء والإفساد في الأرض بالمعاصي، ثم أمر تعالى بدعائه خوفاً وطمعاً، وهذه حال المتقين، الذين أحسنوا في أعمالهم، وأحسنوا إلى عباد الله بالنصح لهم، وإصلاح الأرض بالطاعة والبعد عن مساخط الله التي هي الإفساد في البلاد والعباد، وهؤلاء هم المحسنون الذين قريبة منهم رحمة الله -تعالى-، ومنها الجنة.

قال ابن جرير: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يقول جل ذكره: إن ثواب الله الذي وعد المحسنين على إحسانهم في الدنيا قريب منهم، وذلك هو رحمته؛ لأنه ليس بينهم وبين أن يصيروا إلى ذلك من رحمته وما أعد لهم من كرامته إلا أن تفارق أرواحهم أجسادهم.

ولذلك ذكَّرَ قوله: «قريبٌ» وهو خبر عن الرحمة، والرحمة مؤنثة؛ لأنه أريد به القرب في الوقت»[2].

---

(١) «الفتح» (١٣/ ٤٣٧).

(٢) «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٨٨) ط: المعارف.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال ابن كثير: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: إن رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون أوامره، ويتركون زواجره، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[1].

وقال: «قريب» ولم يقل قريبة؛ لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب، أو لأنها مضافة إلى الله.

وقال مطر الوراق: «استنجزوا موعود الله بطاعته، فإنه قضى أن رحمته قريب من المحسنين» رواه ابن أبي حاتم[2].

٧٥- قال: «حدثنا مُوسَى بنُ إسماعيلَ، حدثنا عبدُالواحدِ، حدثنا عاصمٌ، عن أبي عثمانَ، عن أسامةَ، قالَ: كانَ ابنٌ لبعضِ بناتِ النبيِّ ﷺ يَقْضِي، فَأَرْسَلَتْ إليه أنْ يأتيَها، فَأَرْسَلَ: «إنَّ للهِ ما أخذَ، وله ما أَعْطى، وكُلٌّ إلى أجَلٍ مُسَمًّى، فلتصبرْ، ولتحتسبْ»، فأرسلتْ إليه فَأَقْسَمَتْ عليهِ، فقامَ رسولُ الله ﷺ وقمتُ مَعَهُ، ومعاذُ بن جبلٍ، وأُبيُّ بنُ كَعْبٍ، وعُبَادَةُ بنُ الصامتِ، فلمّا دخلنا ناوَلوا رسولَ الله ﷺ الصبيَّ، ونَفْسُهُ تَقَلْقَلُ في صدرِهِ، حَسِبْتُهُ قالَ: كأنّها شَنَّةٌ، فبكى رسولُ الله ﷺ، فقال سعدُ بنُ عبادةَ: أتَبْكِي؟ فقَال: «إنما يَرْحَمُ الله مِنْ عبادِهِ الرُّحَماءَ».

تقدم هذا الحديث في باب قول الله -تعالى-: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾.

وتقدم شرحه هناك، والشاهد منه قوله: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»، أي: الذين جعل الله في قلوبهم الرحمة، التي يرحمون بها عباد الله، فرحمة الله منهم قريب.

وسبق أن اللفظ الذي تقدم في الباب المشار إليه أوضح وأظهر في الدلالة على مقصوده هنا، ولكنه عدل عنه كعادته، إيثاراً للإشارة على التصريح في العبارة، حتى يروّض ذهن القارىء على التفطن والاستنباط، ولأن عادته أيضاً إذا أعاد الحديث فلا بد أن يختاره بألفاظ غير لفظه المتقدم، ما وجد إلى ذلك سبيلاً في المتن وفي رجال السند، أو على الأقل في أحدهما.

هنا السند أكثرهم غير من تقدم، والمتن فيه تغاير عما سبق.

---

(١) الآية ١٥٦ من سورة الأعراف.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٢٢).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٧٦- قال: «حدثنا عبيدُ الله بنُ سعدِ بنِ إبراهيمَ، حدثنا يعقوبُ، حدثنا أبي، عن صالحِ بنِ كَيْسانَ، عن الأَعْرَجِ، عن أبي هريرةَ -رضي الله عنه- عن النبيِّ ﷺ قال: «اختَصَمَتِ الجَنَّةُ والنارُ إلى رَبِّهما، فقالتِ الجنةُ: يا ربِّ، ما لها لا يدخُلُها إلا ضعفاءُ الناسِ وسَقَطُهُم؟ وقالتِ النارُ: يَعْني: أُوثِرْتُ بالمتكبرينَ؟

فقالَ الله -تعالى- للجنةِ: أنتِ رحمتي، وقال للنارِ: أنتِ عذابي أصيبُ بِكِ مَنْ أشاءُ، ولكُلِّ واحدةٍ مِنْكُما مِلْؤُها.

قال: فأمّا الجنةُ فإنَّ الله لا يظلمُ مِنْ خَلْقِهِ أحداً، وإنه يُنْشِئُ للنار مَنْ يشاءُ فَيُلْقَوْنَ فيها، فتقولُ: هَلْ مِنْ مَزيدٍ -ثلاثاً- حتى يضعَ فيها قَدَمَهُ، فتمتَلِئُ، ويُرَدُّ بَعْضها إلى بَعْضٍ، وتقول: قَطْ قَطْ قَطْ».

الاختصام: هو التنازع بين فريقين ، يذكر كل واحد منهما حجته أمام من يحكم بينهما.

وتقدم هذا الحديث في «التفسير» بلفظ: تحاجت الجنة والنار.

وفي «صحيح مسلم»: «احتجت»، والمعنى واحد.

قال المهلب: «يجوز أن يكون هذا الخصام حقيقة، بأن يخلق الله فيهما فهماً، وكلاماً، والله قادر على كل شيء، ويجوز أن يكون هذا مجازاً، كقولهم: «امتلأ الحوض، وقال: قَطْنِي»، والحوض لا يَتكلم، وإنما ذلك عبارة عن امتلائه»[1].

قلت: الأول هو المعتمد، وتقدم الكلام فيه والاستدلال له في شرح حديث أنس: «لا يزال يلقى في النار، وتقول: هل من مزيد».

وقال النووي: «هذا الحديث على ظاهره، وأن الله -تعالى- يجعل في النار والجنة تمييزاً تدركان له، فتحاجتا، ولا يلزم من هذا أن يكون ذلك التمييز دائماً»[2].

قال الحافظ: «وحاصل اختصامهما: افتخار إحداهما على الأخرى بمن يسكنها، فتظن النار أنها بمن ألقي فيها من عظماء الدنيا أبر عند الله من الجنة.

(١) انظر «الفتح» (١٣/ ٤٣٦).

(٢) «شرح مسلم» (١٧/ ١٨١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتظن الجنة أنها بمن أسكنها من أولياء الله -تعالى- أبر عند الله.

فأجيبتا: بأنه لا فضل لأحدهما على الأخرى من طريق من يسكنها، وفي كلامهما شائبة شكاية إلى ربهما، إذ لم تذكر كل واحدة منهما إلا ما اختصت به، وقد ردَّ الله الأمر في ذلك إلى مشيئته»[1].

قلت: الظاهر أن افتخار النار على الجنة بأنها محل انتقام الله -تعالى- من الطغاة والمجرمين الذين عصوا الله وكذبوا رسله، وسخروا منهم وبارزوا الله بالجرائم والآثام.

وغالب هذا النوع من قادة الناس ورؤسائهم وأغنيائهم، وأهل السيادة والقيادة فيهم، وأهل التجبر والتكبر.

وأما الجنة فإنها اشتكت لكون من يدخلها الضعفاء والفقراء وأهل المسكنة غالباً، ولهذا قالت: «ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟».

قوله: «قالت الجنة» إلى آخره. تقدم أن الصحيح أن هذا بلسان المقال، أي: أنه قول قالته الجنة حقيقة، وأن الله جعل لها شعوراً وتمييزاً، وعقلاً ونطقاً، والله لا يعجزه شيء.

وليس هذا خاصًّا بالجنة والنار، فقد ذكر الله -تعالى- أن الجبال كانت تسبح مع نبي الله داود عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[2].

وقوله: «فقالت: يا رب ما لها». عدول بالخطاب من المتكلم إلى الغائب، كأن الراوي كره أن يأتي به على أصله خشية أن يظن ظان أنه مضاف إليه، وهذا كثير في روايات الحديث.

والمقصود بضعفاء الناس: فقراؤهم، وأهل المسكنة والتواضع، الذين لا يبغون في الأرض علوًّا ولا فسادًا، ولا يترفعون على عباد الله، بل هم متواضعون لله خاضعون له، أذلة على المؤمنين، وإن كانوا عند ذوي السلطان حقيرين ساقطين في

---

(١) «الفتح» (١٣/ ٤٣٦).

(٢) الآية ٤٤ من سورة الإسراء.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أعينهم، لا يؤبه لهم لديهم، فهم عند الله عظماء رفعاء.

قوله: «قالت النار: يعني: أوثرت بالمتكبرين» أي: خصصت بأهل التكبر على عباد الله والتجبر والظلم للناس باحتقارهم، وغمط حقوقهم.

قوله: «فقال الله للجنة: أنت رحمتي، وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء».

هذا هو حكم الله بينهما، يعني: أن الله -تعالى- خلق الجنة ليرحم بدخولها من شاء من عباده، من يتفضل عليه ويجعله مؤهلاً لذلك.

وأما النار فخلقها لمن عصاه وكفر به، وبرسله، يعذبهم بها.

وذلك كله ملكه يتصرف فيه كيف يشاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، ولكن لا يدخل النار إلا من استوجبها بعمله.

وهذه الجملة وهي **قوله: «فقال الله للجنة: أنت رحمتي»** هي الشاهد للباب، فالجنة قريب من المحسنين، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

ثم قال: «ولكل واحدة منكما ملؤها» وهذا وعد من الله -تعالى- لهما بأن يملأهما بمن يسكنهما، وفي هذا إشعار بأنهما يرغبان ذلك، وقد جاء الطلب من النار صريحاً، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[1]، وأقسم الله -تعالى- ليملأن جهنم من الجِنَّةِ والناس أجمعين».

فهما يمتلآن من بني آدم ومن الجن.

فمن آمن وعبد الله وحده، واتبع رسله فمصيره إلى الجنة، ومن عصى وبغى وطغى، وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى.

قوله: «فأما الجنة، فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا، وأنه ينشئ للنار من يشاء فيلقيهم فيها»، وتقدم حديث أنس في باب قول الله -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، عن النبي ﷺ قال: «لا يزال يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع فيها رب العالمين قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، ثم تقول: قد قد بعزتك وكرمك. ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله لها خلقا، فيسكنهم فضل الجنة»[2].

---

(١) الآية ٣٠ من سورة ق.

(٢) انظر الجزء الأول من هذا الشرح (ص١٣٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي «صحيح مسلم» في هذا الحديث قال: «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله -تبارك وتعالى- رجله، تقول: قط قط قط، فهناك تمتلئ، ويُزْوَى بعضها إلى بعض، ولا يظلم ربك من خلقه أحدا. وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً»[1]، ورواه البخاري بهذا اللفظ في «التفسير»[2].

وبهذا يتبين أن قوله: «**وأنه ينشئ للنار من يشاء فيلقيهم فيها**» أنه خطأ، وإنما انقلب على الراوي، فصار ما للجنة للنار، فإن إنشاء الخلق يكون للجنة، وأما النار فإن الله -تعالى- يضع عليها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، وتتضايق على من فيها، وبذلك تمتلئ، ولا يظلم ربك أحداً، ويؤيد ذلك أن هذا الحديث جاء في «التفسير» من «صحيح البخاري»، وجاء كذلك في مسلم على الوجه الصحيح، كما ذكرناه آنفاً، وبأنه خطأ قد انقلب على الراوي جزم به شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم، ويؤيده أيضاً قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من ذريتك وممن تبعك من بني آدم.

فلو دخلها أحد من غير أتباع الشيطان من ذريته وذرية آدم لم تمتلئ منهم.

قال الحافظ: قال أبو الحسن القابسي: «المعروف في هذا الموضع أن الله ينشئ للجنة خلقاً، وأما النار فيضع فيها قدمه. قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقاً إلا هذا» انتهى.

وقد مضى في تفسير سورة ق، من طريق محمد بن سيرين، عن أبي هريرة: «ويقال لجهنم: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد، فيضع الرب عليها قدمه، فتقول: قط قط».

ومن طريق همام بلفظ: «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله، فتقول: قط قط، فهناك تمتلئ، ويُزْوَى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً»[3].

وقال: «وقد قال جماعة من الأئمة: إن هذا الموضع من الحديث مقلوب، وجزم ابن القيم بأنه غلط، واحتج بأن الله -تعالى- أخبر بأن جهنم تمتلئ من إبليس

---

(١) «صحيح مسلم» (٤/ ٢١٨٧) رقم (٢٨٤٦).

(٢) انظر «الفتح» (٨/ ٥٩٥).

(٣) انظر «الفتح» (١٣/ ٤٣٦-٤٣٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأتباعه من بني آدم، وكذا أنكر الرواية شيخنا البلقيني، واحتج بقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. ثم ذكر تأويلات بعيدة جداً، بل باطلة، ثم قال: «وفي الحديث دلالة على اتساع الجنة والنار، بحيث تسع كل من كان، ومن يكون إلى يوم القيامة، وتحتاج إلى زيادة، وقد تقدم أن آخر من يدخل الجنة يُعطى مثل الدنيا عشر مرات.

وقال الداودي: يؤخذ من الحديث أن الأشياء توصف بغالبها؛ لأن الجنة يدخلها غير الضعفاء، والنار قد يدخلها غير المتكبرين، وفيه رد على من حمل قول النار: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ على أنه استفهام إنكار، وأنها لا تحتاج إلى زيادة»[1].

وقال شيخ الإسلام: «قوله: وأما الجنة، فيبقى فيها فضل، فينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم»: «ووقع في بعض طرق البخاري غلط، قال فيه: «وأما النار فيبقى فيها فضل»، والبخاري رواه في سائر المواضع على الصواب؛ ليبين غلط هذا الراوي، كما جرت عادته بمثل ذلك، إذا وقع من بعض الرواة غلط في لفظ، ذكر ألفاظ سائر الرواة التي يعلم بها الصواب، وما علمت وقع فيه غلط إلا وقد بين فيه الصواب»[2].

وقال ابن القيم: «وأما اللفظ الذي وقع في «صحيح البخاري» في حديث أبي هريرة: «وأنه ينشئ للنار من يشاء، فيلقى فيها فتقول: هل من مزيد» فغلط من بعض الرواة، انقلب عليه لفظه، والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده، فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه، فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه الحجة، وكذب رسله، قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[3]، ولا يظلم الله أحداً من خلقه»[4].

٧٧- قالَ: «حدثنا حَفْصُ بنُ عُمَرَ، حدثنا هِشامٌ، عن قتادةَ، عن أنسٍ -رضيَ الله عنه- عن النبيِّ ﷺ قالَ: «ليصيبنَّ أقواماً سَفْعٌ من النارِ بذنوبٍ أصابوها عقوبةً، ثم يدخلُهُم الله الجنةَ بِفَضْلِ رحمتِهِ، يقالُ لهم: الجَهَنَّمِيُّونَ».

(١) «الفتح» (١٣/ ٤٣٧).

(٢) «منهاج السنة» (٣/ ٢٥).

(٣) الآيتان ٨، ٩ من سورة تبارك.

(٤) «حادي الأرواح» (ص٢٩٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«سفع» بفتح السين، وسكون الفاء، هو أثر تغير البشرة من حر النار أي: يصيبهم من لهبها ما يغير ألوانهم، وتقدم أنهم يحترقون حتى يكونوا فحماً.

قوله: «بذنوب أصابوها» أي: أن إصابتهم بسفع النار جزاء على ما اقترفوه من الذنوب عقوبة لهم.

«ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته» أي: يرحمهم الله تفضلاً منه وجوداً عليهم من غير استحقاق للجنة، وهذا محل الشاهد من الحديث، ووجهه أن هؤلاء لما كان معهم شيء من الإيمان صارت رحمة الله قريبة إليهم بالنسبة لمن هو في النار، وبقدر ما معهم من إيمان وإحسان.

والجهنميون نسبة إلى جهنم؛ لأن أثر إحراقهم ظاهر عليهم.

قولُهُ: «وقال هَمّامٌ: حدثنا قَتَادَةُ، حدثنا أَنَسٌ» إلى آخره.

يريد بيان أن عنعنة قتادة محمولة على السماع؛ لأنه صرح بالتحديث من هذه الطريق. والله أعلم.

□ □ □

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قالَ: «بابُ قولِ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[1].

قال ابن كثير: «أخبر تعالى عن قدرته العظيمة، التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره، وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما، فلا تضطربا عن أماكنهما، كما قال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[3][4].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾[5]، أي: لا يقدر على إبقائهما بلا زوال واضطراب إلا هو -تعالى-، ومع موجب زوالهما واضطرابهما من جرائم بني آدم أمسكهما، فحلم الله الواسع، ومغفرته العظيمة، تدعوه تعالى إلى إمساكهما، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فيحلم ويغفر، ويستر، ويصفح عن العظيم مما يبارزه به عباده من الجرائم، كما ذكر تعالى عن بعض المجرمين ما يقتضي تفطر السموات، وتشقق الأرض، وانهداد الجبال الراسيات منه، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾[6].

ومراد البخاري -رحمه الله- من هذا الباب إثبات جنس الفعل لله تعالى؛ لقوله في الآية: «يمسك» وقوله في الحديث: «يضع السموات على إصبع» إلى آخره، وإن كان تقدم ذكر الاستواء المتضمن للعلو فهو من صفات الذات والفعل، وأما هذا فهو نوع آخر من صفات الله -تعالى- الدالة على أنه تعالى فعَّال لما يريد، وهذا ما أنكره أهل الباطل من معتزلة وغيرهم، فأراد البخاري أن ينبه على بطلان قولهم.

يعني: أن الله -تعالى- هو الممسك للسموات والأرض بقدرته، وإذا أراد أن يطوي السموات والأرض لترك إمساكهما فزالتا، فهو تعالى يفعل باختياره ما شاء، وفعله غير خلقه، وهذا يرد مذهب المعتزلة ومن قال بقولهم، حيث قالوا: إن أفعال

---

(١) الآية ٤١ من سورة فاطر.

(٢) الآية ٦٥ من سورة الحج.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٤٣) ط: الشعب.

(٤) الآية ٢٥ من سورة الروم.

(٥) الآية ٤١ من سورة فاطر.

(٦) الآيات ٨٨-٩١ من سورة مريم.

صفاته في المخلوقين»[1].

«قال الخلال: وأخبرنا المرُّوذي: سمعت أبا عبدالله، وقيل له: إن عبدالوهاب قد تكلم، وقال: من زعم أن الله كلم موسى بلا صوت فهو جهمي عدو لله، وعدو للإسلام. فتبسم أبو عبدالله، وقال: ما أحسن هذا، عافاه الله»[2].

و«قال الخلال في «السُّنَّة»: أخبرنا علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم، قال: إن أبا عبدالله يقول: من زعم أن الله لم يكلم موسى، فقد كفر بالله، وكذب القرآن ورد على رسول الله ﷺ أمره، يستتاب من هذه المقالة، فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

قال: وسمعت أبا عبدالله قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ فأثبت الكلام لموسى كرامة منه لموسى، ثم قال يؤكد كلامه: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾.

قلت لأبي عبدالله: الله -عز وجل- يكلم عبده يوم القيامة؟ قال: نعم، فمن يقضي بين الخلائق إلا الله -عز وجل-؟ يكلم عبده، ويسأله.

الله متكلم لم يزل يأمر بما يشاء، ويحكم، وليس له عدل ولا مثيل، كيف شاء، وأنى شاء. أخبرنا محمد بن علي بن بحر، أن يعقوب بن بختان حدثهم، أن أبا عبدالله سئل عمن زعم أن الله لم يتكلم بصوت، فقال: بلى، تكلم بصوت، وهذه الأحاديث كما جاءت نرويها، لكل حديث وجه، يريدون أن يموهوا على الناس، من زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر.

قال شيخ الإسلام: «قلت: وهذا الصوت الذي تكلم الله به ليس هو الصوت المسموع من العبد، بل ذلك صوت العبد كما هو معلوم لعامة الناس.

وقد نص على ذلك الأئمة، أحمد وغيره، فالكلام المسموع من العبد حال تلاوته القرآن هو كلام الله، لا كلام غيره، كما قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[3].

وقال النبي ﷺ: «ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي» رواه أبو داود وغيره[4].

---

(١) «خلق أفعال العباد» (ص١٩٢)، «مجموع عقائد السلف».
(٢) «شرح الأصفهانية»، رسالة دكتوراه (ص١٩٣).
(٣) الآية ٦ من سورة التوبة.
(٤) انظر «السنن» (٤/ ٣٢٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال: «زينوا القرآن بأصواتكم»[1]، وقال: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»[2].

«وقال أبو نصر السجزي: «فأما الله -تعالى- فإنه متكلم فيما لم يزل، ولا يزال، إذا شاء ذلك، ويكلم من يشاء تكليمه بما يعرفه [المخاطب] ولا يجهله، وكلامه أحسن الكلام، وفيه سور، وآي، وكلمات، وكل ذلك حروف، وهو المسموع منه على الحقيقة سماعاً يعقله الخلق، وجائز وجود أعداد من المكلمين يكلمهم في حال واحدة، بما يريده من كل واحد منهم، من غير أن يشغله تكليم هذا عن تكليم هذا»[3].

وقال أيضاً: «لما وجدنا أحكام الشريعة المتعلقة بالكلام منوطة بالنطق الذي هو حرف وصوت، دون ما في النفس، علمنا أن حقيقة الكلام هو الحرف والصوت.

فلو حلف امرؤ أنه لا يتكلم ساعة من النهار، فأقام في تلك الساعة يحدث نفسه بأشياء، ولا ينطق بها، كان باراً، غير حانث.

ولو كان الكلام هو ما في النفس، حنث في أول ما يحدث به نفسه»[4].

وقال أيضاً: «فالله -تعالى- قد بين في كتابه ما كلامه، وبين ذلك رسوله ﷺ واعترف به الصدر الأول والسلف الصالح، فقال الله -تعالى-: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[5]، وقال: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[6]، والمستجير لا يسمع إلا كلاماً ذا حروف، والقارئ لا يقرأ إلا كلاماً ذا حروف.

ولما سمى -تعالى- هذا القرآن كلامه، علم أن كلامه حروف، وقد أكد ذلك بذكر الحروف المقطعة في أوائل السور ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ونحوها.

فمن زعم أن هذه الحروف ليست من القرآن فهو كافر، ومن قال: إنها من القرآن، والقرآن ليس كلام الله، فهو كافر، ومن زعم أنها عبارة عن الكلام الذي

---

(١) انظر «سنن أبي داود» (٢/ ٩٩)، والنسائي (٢/ ١٣٩)، وابن ماجه (٢/ ٢٤٦)، والدارمي (٢/ ٤٧٤)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٣، ٢٨٥).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٣٨-٤٠).

(٣) المصدر السابق (ص٨٨) ملخصاً.

(٤) «الرد على من أنكر الحرف والصوت» لأبي نصر، رسالة ماجستير (ص١٧٦).

(٥) الآية ٦ من سورة التوبة.

(٦) الآية ٢٠ من سورة المزمل.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لا حروف فيه، فهو جهل وغباء؛ لأن ذلك لا يعرف، والنبي ﷺ قال: «من قرأ القرآن، فله بكل حرف عشر حسنات، لا أقول: «الم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف، وبهذا يتبين أن القرآن سور، وآيات، وحروف، وهكذا كلام الله»[1].

وقال أيضًا: «الأصل الذي يجب أن يعلم: أن اتفاق التسميات لا يوجب اتفاق المسمَّيْن بها، فنحن إذا قلنا: إن الله موجود، رؤوف، واحد، حي، عليم، سميع، بصير، متكلم، وقلنا: إن النبي ﷺ كان موجوداً، حياً، عالماً، سميعاً، بصيراً، متكلماً، لم يكن ذلك تشبيهاً، ولا خالفنا به أحداً من السلف، والأئمة.

بل الله موجود لم يزل، واحد، حي، قديم، قيوم، عالم، سميع، بصير، متكلم فيما لم يزل، ولا يجوز أن يوصف بأضداد هذه الصفات.

والموجود منا إنما وجد من عدم، وحين ينقضي أجله ثم يصير ميتاً يزول ذلك المعنى، وعلم بعد أن لم يعلم، وقد ينسى ما علم وسمع وأبصر وتكلم بجوارح تلحقها الآفات.

فلم يكن فيما أطلق للخلق تشبيه بما أطلق للخالق -سبحانه وتعالى- وإن اتفقت مسميات هذه الصفات»[2].

«وقد بين الله في كتابه أن الكلام لا يكون إلا بصوت وحروف، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ والعرب لا تعرف نداء إلا صوتاً.

وقد جاء عن موسى تحقيق ذلك، فإن أنكروا الظاهر كفروا، وإن قالوا إن النداء غير صوت خالفوا لغات العرب.

وإن قالوا: نادى الأمير إذا أمر بالنداء، دفعوا فضيلة موسى ﷺ المختصة به من تكليم الله إياه بذاته، من غير واسطة، ولا ترجمان.

وليس في وجود الصوت من الله -تعالى- تشبيه بمن يوجد الصوت منه من الخلق، كما لم يكن في إثبات الكلام له تشبيه بمن له كلام من خلقه، وكلام الله

(١) «الرد على من أنكر الحرف والصوت» (ص١٨٦)، رسالة ماجستير.
(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٨٩-٩٠).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حروف، وأصوات بحكم النص»[1].

«والله -تعالى- لم يزل متكلماً إذا شاء، وإذا شاء تكلم بصوت يسمع، وبحروف، وكل ما قام بذات الله -تعالى- فليس بمخلوق، سواء كان قديماً أو حادثاً، وكلامه -تعالى- وفعله متعلق بمشيئته وإرادته، هذا قول أهل السُّنَّة والجماعة.

قال عبدالله ابن الإمام أحمد: «سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلم الله موسى، لم يتكلم بصوت؟ فقال أبي: بلى تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت.

وقال أبي: حديث ابن مسعود: «إذا تكلم الله سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان».

قال أبي: وهذا الجهمية تنكره، قال أبي: وهؤلاء كفار، يريدون أن يموهوا على الناس، من زعم أن الله لم يتكلم فهو كافر»[2].

وقال أيضاً: «حدثني أبي: حدثنا عبدالرحمن بن محمد المحاربي، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبدالله: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء فيخرون سجداً، حتى إذا فزع عن قلوبهم، قال: سكن عن قلوبهم، نادى أهل السماء: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، قال: كذا وكذا»[3].

وقال أبو يعلى بعد أن ذكر هذا الحديث وغيره: «اعلم أن هذه الأخبار تدل على أن كلام الله -تعالى- بحرف وصوت، لا كحروف الآدميين وأصواتهم، كما أن له علماً وقدرة لا تشبه صفات الآدميين، وقد نص أحمد في رواية الجماعة على إثبات الصوت»[4]، وكلام أهل العلم من السلف وأتباعهم في هذا كثير.

قوله: «أنا الملك أنا الديان» يعني: أن النداء الذي يسمعه أهل الموقف كلهم يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، هو بهاتين الكلمتين: «أنا الملك أنا الديان»، فهو تعالى الملك الذي بيده ملك السموات والأرض، ومن فيهن، وهو الديان الذي يجازي عباده بعملهم، من عمل خيرا جازاه بأفضل مما عمل، ومن عمل شراً جازاه

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٩٣).

(٢) «كتاب السُّنَّة» (ص٧٠).

(٣) المصدر المذكور (٧١)، ورواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص١٩٤)، مجموع عقائد السلف.

(٤) «إبطال التأويل»، مخطوط (ص٣٠٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بما يستحق.

وفي هذا الحديث دليل على أن بعض أهل الموقف أقرب إلى الله من بعض.

ودل على هذا المفهوم آيات من كتاب الله، وأحاديث ثابتة عن رسوله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾، ونحو ذلك، وعند الذين ضلوا في هذا الباب، الخلق بالنسبة إلى الله سواء بالقرب والبعد، وكفى بذلك ضلالاً أنه مخالف لكتاب الله وسنة رسوله، وللفطر والعقول.

١٠٨- قال: «حدثنا عَلِيُّ بنُ عبدِالله، حدثنا سُفْيانُ، عن عمرو، عن عِكْرِمَةَ، عن أبي هريرةَ يَبْلُغُ بِهِ النبيَّ ﷺ قالَ: إذا قَضَى الله الأَمْرَ في السماءِ، ضَرَبَتِ الملائكةُ بأجنحتها خُضْعاناً لقولِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ على صَفْوانٍ».

قال عليٌّ: وقال غيره: « صَفْوان، يَنْفُذُهُمْ ذلكَ، فإذا فُزِّعَ عَنْ قلوبهم، قالوا: ماذا قالَ ربُّكم؟ قالوا: الحقَّ، وهو العَلِيُّ الكبيرُ».

قوله: «إذا قضى» المراد بالقضاء هنا: الأمر بالشيء والحكم، بأن يتكلم آمراً ملائكته، كما في حديث ابن مسعود المتقدم، وحديث النواس بن سمعان: إذا تكلم الله بالوحي.

قوله: «ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله» صريح بأن الملائكة تسمع قوله: ولا يعقل شيء يدركه السمع إلا ما كان بصوت وحروف.

هذا هو مراد البخاري -رحمه الله- أن كلام الله يسمع منه؛ لأنه يتكلم حقيقة، والكلام الحقيقي الذي يسمع لا بد أن يكون بصوت وحروف، وهذا الذي فهمه صحابة رسول الله ﷺ منه، وهو الذي أراد منهم فهمه، وكذا فهمه أتباعه إلى اليوم.

«خضعاناً» مصدر لخضع، كغفران مصدر لغفر، والمعنى: أن الملائكة تخضع لله عند سماع كلامه، وتستكين، فتضرب بأجنحتها من الخضوع.

والصفوان هي الحجارة الكبيرة الصلبة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قوله: «ينفذهم ذلك» يعني: أن الصوت المذكور يبلغهم كلهم ويسمعونه.

قولُهُ: «قالَ سفيانُ: قال عَمْرٌو: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ، حدثنا أبو هريرةَ بهذا، قلتُ لسفيانَ: قال: سمعتُ عكرمَةَ...» إلى آخره. يقصد بيان أن عكرمة قد صرح بالتحديث، فينتفي احتمال التدليس.

قوله: «فرغ» قال سفيان: هكذا قرأ عمرو، فلا أدري سمعه هكذا أم لا. قال سفيان: «وهي قراءتنا».

هذه القراءة بضم الفاء وبالراء المهملة المشددة، وبالغين المعجمة، قال في إتحاف فضلاء البشر: «هي قراءة الحسن»[1].

وعمرو المذكور هو ابن دينار.

قوله: «فلا أدري سمعه هكذا أم لا» أي: سمعه من عكرمة، أو قرأها كذلك من قبل نفسه بناء على أنها قراءته.

وقول سفيان: هي قراءتنا، يريد نفسه، ومن تابعه[2].

قال الحافظ بعد أن ذكر عدة روايات تتعلق بهذا الحديث، سجود الملائكة عند سماعهم صوت الوحي من الله، قال: «فهذه الأحاديث ظاهرة جداً في أن ذلك وقع في الدنيا، بخلاف قول بعض المفسرين الذين أقدموا على الجزم بأن الضمير في قوله: «عن قلوبهم» للكفار، وأن ذلك يقع يوم القيامة، مخالفين لما صح من الحديث النبوي، من أجل خفاء معنى الغاية في قوله: «حتى إذا فزع عن قلوبهم».

وما قاله هو الذي يجب أن يعتمد، ولا يلتفت إلى غيره؛ لأن الأحاديث أوضحته غاية الإيضاح.

١٠٩- قالَ: «حدثنا يَحْيى بنُ بُكَيْرٍ، حدثنا اللَّيْثُ، عن عُقَيْلٍ، عن ابنِ شهابٍ، أخبرني أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِالرحمنِ، عن أبي هريرةَ، أنه كانَ يقولُ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما أَذِنَ الله لشيءٍ ما أَذِنَ للنبيِّ يَتَغَنَّى بالقرآنِ» وقال صاحبٌ له: يريدُ: يَجْهَرُ بِهِ».

قال ابن كثير: «معناه: أن الله -تعالى- ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي

(١) انظر (ص٣٦٠)، والحسن هو البصري.
(٢) انظر «الفتح» (٣/ ٤٥٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت؛ لكمال خلقهم، وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك.

وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم، برهم وفاجرهم، كما قالت عائشة -رضي الله عنها-: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات».

ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[1] ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ، كما دل عليه هذا الحديث العظيم.

ومنهم من فسر الإذن ها هنا بالأمر، والأول أولى؛ **لقوله: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن»** أي: يجهر به، فالأذن: الاستماع؛ لدلالة السياق عليه، وكما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ فالإذن هنا الاستماع، ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه بسند جيد، عن فضالة بن عبيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن، من صاحب القينة إلى قينته».

وقول سفيان بن عيينة: إن المراد بالتغني: يستغني به، فإن أراد أنه يستغني به عن الدنيا -وهو الظاهر من كلامه- فخلاف الظاهر من مراد الحديث؛ لأنه فسره بعض رواته بالجهر، وهو تحسين القراءة، والتحزين بها»[2].

ثم قال: «والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه، وتحزينه، والتخشع به، كما رواه بقي بن مخلد، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: «يا أبا موسى، لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة» قلت: أما -والله- لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيراً»[3].

ومن تأمل الأحاديث الواردة في ذلك تبين له أن معنى **قوله: «يتغنى بالقرآن»**: تحسين الصوت وتزيينه بما يستطيع القارئ، والتغني لا يكون إلا بالكلام ذي الحروف، كما أن الاستماع لا يكون إلا للكلام المصوت به، وهذا هو وجه استدلال البخاري بهذا الحديث.

---

(١) الآية ٦١ من سورة يونس.

(٢) «فضائل القرآن» لابن كثير (ص١١٦).

(٣) المصدر السابق (ص١٢٢).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالقرآن الذي يحب الله من عبده أن يتغني به، ويحب استماعه إليه في ذلك، ينطق به بالحروف ويصوت به.

والله -تعالى- قد تكلم به بصوت نفسه، وبهذه الحروف المكتوب بها.

«وذكر الطبري» عن الشافعي، أنه سئل عن تأويل ابن عيينة: «التغني بالاستغناء» فلم يرتضه، وقال: «لو أراد الاستغناء، لقال: يستغني وإنما أراد تحسين الصوت»، ويؤيده ما في رواية الطبري: «ما أذن لنبي في الترنم في القرآن».

وفي رواية عبدالرزاق: «ما أذن لنبي حسن الصوت»، وهو عند مسلم.

وفي رواية للطحاوي: «حسن الترنم بالقرآن».

قال الطبري: الترنم لا يكون إلا بالصوت، إذا أحسنه القارئ، وطرب به، ولو كان معناه: الاستغناء، لما كان لذكر الصوت والجهر معنى».

ولا نعلم في كلام العرب «تغنى بمعنى استغنى، ولا في أشعارهم».

ومثل ذلك قال الإسماعيلي، وقال: الاستغناء لا يحتاج إلى استماع؛ لأن الاستماع أمر خاص، زائد على الاكتفاء به، والاكتفاء به عن غيره أمر واجب على الجميع، ومن لم يفعل ذلك خرج عن الطاعة.

وقال عمر بن شبة: ذكرت لأبي عاصم النبيل: تفسير ابن عيينة -يعني: يستغني به- فقال: لم يصنع شيئاً، حدثني ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، قال: كان داود -عليه السلام- يتغنى- يعني: حين يقرأ -ويَبكي ويُبكي.

وظواهر الأخبار ترجح أن المراد: تحسين الصوت بالقراءة، ويؤيده قوله «يجهر به» فإن كان ذلك مرفوعاً قامت الحجة، وإن كان غير مرفوع، فالراوي أعرف بمعنى الخبر من غيره، ولا سيما إذا كان فقيهاً.

وقد جزم الحليمي بأن ذلك من قول أبي هريرة، والعرب تقول: سمعت فلاناً يتغنى بكذا، أي: يجهر به، قال ذو الرمة:

أُحِبُّ المكانَ القفر من أجل أنني ... به أتغنى باسمها غير معجم

يعني: أجهر بذكر اسم حبيبتي من غير تورية.

والحاصل: أنه يمكن الجمع بين أكثر التأويلات المذكورة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو أنه يحسن به صوته، جاهراً به، مترنماً، على طريق التحزن، مستغنياً به عن غيره من الأخبار، طالباً به غنى النفس، راجياً به غنى اليد»[1].

قلت: في هذا الجمع نظر، فإن الرسول ﷺ أراد بذلك معنى معيناً، وظواهر أقواله في ذلك أنه أراد تحسين الصوت به، والترنم يكون بتحسين الصوت، وكذا التحزن الذي يستجلب به الخشوع ومحبة القرآن والإقبال إلى استماعه.

ولا يلزم الجمع بين التأويلات، بل كل تأويل خالف النص يجب رده على من قاله.

قال الحافظ: «ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم؛ لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب، وإجراء الدمع. ولا خلاف بين السلف في استحباب تحسين الصوت بالقراءة، وتقديم حسن الصوت على غيره.

وإنما اختلفوا في التلحين، بين مانع ومجيز.

والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقراءة مطلوب، فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع، كما قال ابن أبي مليكة، أحد رواة الحديث، أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح.

ومن جملة تحسينه: أن يراعي فيه قوانين النغم، فإن الحسن الصوت يزداد بذلك حسناً، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه.

وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها، ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يفِ تحسين الصوت بقبح الأداء.

ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام؛ لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعي الأداء، فإن وجد من يراعيهما معاً، فلا شك أنه أرجح من غيره، لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت، ويتجنب الممنوع من حرمة الأداء. والله أعلم»[2].

١١٠- قال: «حدثنا عمرُ بنُ حفصِ بن غيّاثٍ، حدثنا أبي، حدثنا الأَعْمَشُ، حدثنا أبو صالحٍ، عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ، قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «يقولُ الله -تعالى-: يا آدمُ، فيقولُ: لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بصوتٍ: إنَّ الله يَأْمُرُكَ أنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيتكَ بَعْثاً إلى النارِ».

(١) «فتح الباري» (٩/ ٧٢).

(٢) «الفتح» (٩/ ٧٢).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال محب الدين الطبري: «لبيك: مصدر مثنى، للتكثير والمبالغة، ومعناه: إجابة بعد إجابة، ولزوماً لطاعتك.

وتثنيته للتوكيد، لا تثنية حقيقة، قال ابن الأنباري: ثنوا لبيك، كما ثنوا حنانيك، أي: تحنُّنًا بعد تحنُّن»[1].

وقال ابن الأنباري: «سمعت أبا العباس يقول: معنى قولهم: لبيك: أنا مقيم على طاعتك، وإجابتك، من قولهم: قد لَبَّ الرجل في المكان وألَبَّ، إذا أقام فيه، قال الشاعر:

محل الجهر أنت به مقيم ... مُلِبٌّ ما يزول ولا يريم

وقال الفراء: معنى لبيك: إجابتي لك يا رب، ونصب على المصدر، وثُنِّي لأنه أراد إجابة بعد إجابة.

وقال آخرون: معناه: اتجاهي إليك، مأخوذ من قولهم: داري تلبُّ دارك، أي: تواجهها.

وقال آخرون: معناه: محبتي لك، من قولهم: امرأة لَبَّة، إذا كانت محبة لولدها عاطفة عليه»[2]، وذكر مثل ذلك الجوهري[3].

وقال الزمخشري: «معنى لبيك: دواماً على طاعتك، وإقامة عليها مرة بعد أخرى، من ألَبَّ بالمكان: إذا أقام به، وألَبَّ على كذا: إذا لم يفارقه، ولم يستعمل إلا على لفظ التثنية في معنى التكرير، ولا يكون عامله إلا مضمراً، كأنه قال: أُلِبُّ إلباباً بعد إلباب.

والتلبية من لبيك، بمنزلة التهليل من لا إله إلا الله»[4].

«وقال الخليل: هي من قولهم: دارُ فلان تُلِبُّ داري، أي: تواجهها.

فيكون معناه: اتجاهي وقصدي إليك يا رب، مرة بعد أخرى.

وقيل: هي من قولهم: حَبٌّ لُبابٌ، إذا كان خالصاً محضاً، ومنه: لُبُّ الطعام

(١) «القرى» (ص١٤٥).
(٢) «الزاهر» (١/ ١٩٧-١٩٨) ملخصاً.
(٣) انظر «الصحاح» (١٥/ ٣٣٦).
(٤) «الفائق» (٣/ ٢٩٥).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولبابه، فعلى هذا معناه: إخلاصي لك يا رب مرة بعد أخرى.

وقيل: هو من الإلباب، أي: القرب: أي: قربي منك، وقيل: من قولهم: أنا ملب بين يديك، أي: خاضع»[1].

قوله: «فينادي بصوت» قال الحافظ: «أكثر الرواة، رووه بكسر الدال -يعني رواة صحيح البخاري- قال: وفي رواية أبي ذر بفتحها على البناء للمجهول، ولا محذور في رواية الجمهور، فإن قرينة **قوله: «إن الله يأمرك»** تدل ظاهراً على أن المنادي ملك يأمره الله بأن ينادي بذلك»[2].

قلت: هذا مجانب للإنصاف، وبعيد عن ظاهر قول رسول الله ﷺ، بل الظاهر أن المنادي هو الله -تعالى-.

والنداء صفة كمال، لا محذور فيه كما توهمه أهل التأويل الباطل.

وقد ثبت بالنصوص الكثيرة اتصاف الله -تعالى- بالكلام، والنداء منه.

وأي محذور يخشاه هؤلاء الذين ينصبون أنفسهم لتحريف كلام الله وكلام رسوله، وصرفه عن الظاهر المراد منه، حتى عطلوه -تعالى- عما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله من الكلام، والنداء، وما ذاك إلا لسوء ظنهم بالله -تعالى-، حتى جعلوا المخلوق أكمل منه، ولذلك قالوا: المنادي ملك يأمره الله أن ينادي آدم، هذا مع وضوح الكلام وكونه يأبى هذا التحريف، فإنه قال: «يقول الله: يا آدم، فينادي بصوت» **فقوله: «فينادي بصوت»** تفسير **لقوله: «يقول الله: يا آدم»**، وبيان له، ولكن الذين تأثروا بأصول الجهمية ظنوا أن اتصاف الله -تعالى- بالكلام حقيقة والنداء من التشبيه، فنفوا ذلك عن الله -تعالى- ظانين أن هذا قول أهل السُّنَّة، فصار الأخذ بظاهر هذا النص ونحوه لا يجوز؛ لأنه عندهم على خلاف أصولهم، التي منها: نفي حقيقة الكلام عن الله -تعالى-، فوجب تأويله- كما زعموا-، والحق خلاف ظنهم.

ثم نقول: إذا كان الله -تعالى- ليس هو المنادي، وإنما يأمر ملكاً ينادي، نقول: بأي شيء يأمر الملك، وأنتم تقولون: لا يتكلم بكلام يسمع منه؟ أيكون أمره

(١) «القرى» (ص١٤٥).

(٢) «الفتح» (١٣/ ٤٦٠).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالإشارة؟ وبذلك يكون الملك أكمل من رب العالمين.

أم يكون الأمر بأن يخلقه بقلبه؟ فإن قالوا ذلك فيلزم أن يكون الأمر صفة للملك؛ لأن ما كان مخلوقاً فيه فهو صفة له.

فالحق أن الله يتكلم بصوت مسموع يسمعه من شاء من عباده، وليس الصوت الذي يتكلم الله به قديماً كما يقوله بعض أهل البدع، بل لم يزل يتكلم متى شاء، وسيكلم عباده يوم القيامة ويحاسبهم، كما في حديث عدي بن حاتم: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان».

ولما علم أئمة الأشعرية القدماء أن الحروف والأصوات لا تكون قديمة العين، لم يمكنهم أن يقولوا: القديم هو الحروف، والأصوات؛ لأنها لا تكون إلا متعاقبة.

والصوت عرض، لا يبقى زمانين إلا بواسطة ما يمسكه كشريط التسجيل ونحوه، فلذلك قالوا: القديم معنى واحد، لامتناع معانٍ لا نهاية لها عندهم، وهذا هو أصلهم الذي بنوا عليه مذهبهم الباطل.

«والاختلاف في القرآن والكلام، هل هو حرف وصوت أو غير ذلك؟ محدث حدث في حدود المائة الثالثة، وانتشر في المائة الرابعة.

فإن ابن كلاب والأشعري ونحوهما لما ناظروا المعتزلة في إثبات الصفات، وأن القرآن ليس مخلوقاً، وأنه لا يمكن أن يكون قديماً إلا أن يكون معنى قائماً بنفس الله، كعلمه.

وزادوا: إن الله لا يتكلم بصوت، ولا لغة، ولا قديم ولا غير قديم، لما رأوا امتناع قيام أمر حادث به، وخالفوا في ذلك جمهور المسلمين.

والآثار شاهدة بأن الله يتكلم بصوت، ولهذا جعل الإمام أحمد من أنكر ذلك: جهمياً.

قال عبدالله: قلت لأبي: إن قوماً يقولون: إن الله لا يتكلم بصوت؟ فقال: هؤلاء جهمية، إنما يدورون على التعطيل»[1].

قال شيخ الإسلام: «السلف والأئمة يقولون: إن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، وكلامه تعالى قديم النوع، بمعنى أنه لم يزل متكلماً إذا شاء، فإن الكلام صفة كمال، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يتكلم

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥٧٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بمشيئته، ومن لا يزال متكلماً بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام ممكناً له بعد أن يكون ممتنعاً»[1].

وقال أيضاً: «والصواب أن الله -تعالى- لم يزل متكلماً إذا شاء، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن كلماته لا نهاية لها، وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى، وإنما ناداه حتى أتى، لم يناده قبل ذلك، وأن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد، كما أن علمه لا يماثل علمهم»[2].

وقال عبدالله ابن الإمام أحمد: «حدثنا أبي، حدثنا جرير، عن منصور، عن المعتمر، عن هلال بن يساف، عن فروة بن نوفل الأشجعي، قال: كنت جاراً لخباب، فخرجنا يوماً من المسجد، وهو آخذ بيدي فقال: يا هناه، تقرب إلى الله ما استطعت، فإنك لن تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه، يعني: القرآن».

وروي بسند حسن، عن جبير بن نفير، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه» يعني: القرآن.

وقال: «حدثني أبو معمر، حدثنا وكيع، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي، قال: «كأن الناس إذا سمعوا القرآن من في الرحمن يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك».

وحدثني أبي، سمعت عبدالرحمن بن مهدي، يقول: من زعم أن الله لم يكلم موسى يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت؟ فقال أبي: بلى، تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت»[3].

يعني: أنها لا تؤول، بل يجب الإيمان بها على ما يدل عليه ظاهرها، من أن الله يتكلم، وأن كلامه بصوت.

ولو كان ما يفهم من ظاهرها باطل، لبينه رسول الله ﷺ؛ لأن الله -تعالى- كلفه ببيان ما نزل إليه.

---

(١) المصدر السابق (١٢/ ٣٧٢).

(٢) المصدر السابق (١٢/ ٥٩٨).

(٣) «كتاب السُّنَّة» (ص٢٦-٧١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم قال: «سمعت أبا معمر الهذلي يقول: من زعم أن الله لا يتكلم، ولا يسمع ولا يبصر، ولا يغضب، ولا يرضى -وذكر أشياء من هذه الصفات- فهو كافر بالله».

حدثني أبي، حدثنا عبدالرحمن بن محمد المحاربي، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبدالله: إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء، فيخرون سجداً، حتى إذا فزع عن قلوبهم، قال: سكن عن قلوبهم، نادى أهل السماء: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، قال كذا وكذا، ورواه مرفوعاً»[1].

وفي الترمذي، عن عمران بن حصين، قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فتفاوت بين أصحابه في السير، فرفع رسول الله ﷺ صوته بهاتين الآيتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾، فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطى، وعرفوا أنه عنده قول يقوله، فقال: «هل تدرون أي يوم ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذاك يوم ينادي الله فيه آدم، فيناديه ربه، فيقول: يا آدم، ابعث بعث النار» إلى آخر الحديث، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»[2].

فهذا ظاهر جداً في أن المنادي هو الله -تعالى-، والنداء لا يكون إلا بصوت يسمع من بعدٍ عن المنادي، فللَّه -تعالى- صوت يليق به، فصوته لا يشبه أصوات خلقه، كصفاته.

ولثبوت ذلك بالأدلة التي ذكر شيء منها في هذا يتعين على المؤمن الإيمان بأن الله -تعالى- يتكلم بكلام يُسْمِعُه من يشاء من خلقه، وأنه بصوت، إذا شاء صوت به.

فتبين أن قول الحافظ: «إن المنادي ملك يأمره الله بأن ينادي بذلك» باطل، إذ هو خلاف الحق، وأن المنادي هو الله.

وإذا كان الله -تعالى- لا يتكلم بكلام مسموع منه، فكيف يأمر الملك؟ وكيف يرسل الرسل؟ أوليس الكلام صفة كمال، ومن يتكلم وينادي أكمل ممن لا يقدر على ذلك؟ فما هو المسوغ لتحريف كلام الله وكلام رسوله؟ مع أن السلف وأهل السُّنَّة مجمعون على وصف الله بالكلام، وأن من نفى ذلك ضال سالك غير سبيل

(١) «كتاب السُّنَّة» (ص٧٠-٧١).
(٢) «جامع الترمذي» (٥/ ٣٢٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المؤمنين.

قال الألوسي: «الذي انتهى إليه كلام أئمة الدين كالماتريدي، والأشعري، وغيرهما من المحققين، أن موسى عليه السلام سمع كلام الله -تعالى- بحرف وصوت، كما تدل عليه النصوص التي بلغت في الكثرة مبلغاً لا ينبغي معه تأويل، ولا يناسب في مقابلته قال وقيل، بل قد ورد في إثبات الصوت لله -تعالى- أحاديث لا تحصى»[1].

١١١- قالَ: «حدثنا عُبَيْدُ بنُ إسماعيلَ، حدثنا أبو أسامةَ، عن هشامٍ، عن أبيهِ، عن عائشةَ -رضيَ الله عنها- قالتْ: ما غِرْتُ على امرأةٍ ما غِرْتُ على خديجةَ، ولقدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَها ببيتٍ في الجنةِ».

تقدم هذا الحديث في الفضائل، والنكاح، والأدب، وفي ألفاظ متنه وفي إسناده اختلاف عما هنا، وقد بينت عائشة -رضي الله عنها- سبب غيرتها: أنه كثرة ذكر النبي ﷺ لها، وثناؤه عليها، وجاء في رواية «لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره ربه أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن»[2].

والغيرة عند النساء جبلة لا يستطعن التخلي عنها، ولهذا لم ينكر النبي ﷺ على عائشة، وفي هذا الحديث فضل خديجة -رضي الله عنها-.

والمقصود من الحديث هنا قوله: «**ولقد أمره ربه أن يبشرها**»؛ لأن الأمر عند الإطلاق لا يكون إلا بالكلام، فلذلك قال العلماء: إن من نفى الكلام عن الله -تعالى- فقد نفى الرسالة، والشرائع كلها؛ لأنها أمر ونهي.

«قال الخلال في «السُّنَّة»: أخبرني علي بن عيسى، أن حنبلاً حدثهم، قال: سمعت أبا عبدالله يقول: من زعم أن الله لم يكلم موسى، فقد كفر بالله، وكذب بالقرآن، ورد على رسول الله ﷺ أمره، يستتاب من هذه المقالة، فإن تاب وإلا ضربت عنقه».

قال: وسمعت أبا عبدالله: قال الله -تعالى-: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾

---

(١) روح المعاني (ج١).

(٢) انظر «الفتح» (٩/ ٣٣٦) و(٧/ ١١٣) و(١٠/ ٤٣٥).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فأثبت الكلام لموسى كرامة منه لموسى، ثم قال -تعالى- يؤكد كلامه: ﴿تَكْلِيمًا﴾.

قلت لأبي عبدالله: الله -تعالى- يكلم عبده يوم القيامة؟ قال: نعم، فمن يقضي بين الخلائق إلا الله عز وجل؟ يكلم الله عبده ويسأله، لم يزل الله يأمر بما يشاء ويحكم، وليس له عدل ومثل، كيف شاء، وأنى شاء»[1].

□□□

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٣٧-٣٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قالَ: «بابُ كلامِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ، ونداءِ الله الملائكةَ».

يريد بهذا تنويع الأدلة، وأن الله يتكلم متى شاء، ويكلم من يشاء من ملائكته في أي وقت أراد، وسبق الكلام في النداء.

«وقالَ مَعْمَرٌ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: يُلْقَى عليكَ، وتَلَقَّاهُ أنتَ -أيْ: وَتأْخُذُهُ عنهمْ- ومِثْلُهُ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾».

قال الحافظ: «معمر هذا يتبادر أنه ابن راشد، شيخ عبدالرزاق، وليس كذلك، بل هو أبو عبيدة، معمر بن المثنى اللغوي.

قال أبو ذر الهروي: وجدت ذلك في كتاب المجاز له، فقال في تفسير سورة النمل في قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: تأخذه عنه، ويلقى عليك.

وقال في سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ أي: قبلها، وأخذها عنه، قال أبو عبيدة: وتلا علينا أبو مهدي آية، فقال: تلقيتها من عمي، تلقاها عن أبي هريرة، تلقاها عن النبي ﷺ.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾أي: لا يوفق لها، ولا يرزقها ولا يلقنها.

وحاصله: أنها تأتي بالمعاني الثلاثة، وأنها هنا صالحة لكل منها.

وأصله: اللقاء، وهو: استقبال الشيء ومصادفته»[1].

ومقصوده بالمعاني الثلاثة: تأخذها، وتقبلها، وتوفق لها وترزقها. وبعضها قريب من بعض.

وقال ابن جرير: «وإنك يا محمد لتحفظ القرآن، وتعلمه»[2].

وقال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ قيل: إنه أخذ وقبل، وأصله: التفعل من اللقاء، كما يتلقى الرجل مستقبله عند قدومه من غيبته، أو سفره. فكأنه استقبله،

(١) «الفتح» (١٣/ ٤٦١)، وانظر «مجاز القرآن» (١/ ٣٨) و(٢/ ٩٢، ١١١).
(٢) «تفسير الطبري» (١٩/ ١٣٢).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فتلقاه بالقبول حين أوحى إليه، أو أخبره، ومعناه: فلقَّى الله آدم كلمات توبة، فتلقاها آدم من ربه، وأخذها عنه تائباً»[1].

١١٢- قالَ: «حدثني إسحاقُ، حدثنا عبدُالصَّمَدِ، حدثنا عبدُالرحمنِ -هو ابنُ عبدِالله بنِ دينارٍ، عن أبيهِ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرةَ، قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله تباركَ وتعالى إذا أحَبَّ عبداً نادَى جبريلَ: إنَّ الله قَدْ أحَبَّ فلاناً فَأحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جبريلُ، ثم ينادي جبريلُ في السماءِ: إنَّ الله قَدْ أحبَّ فلاناً فَأحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أهلُ السماءِ، ويُوضَعُ له القَبُولُ في أهلِ الأرضِ».

قال الحافظ: «وقع في بعض طرقه بيان سبب هذه المحبة والمراد بها، ففي حديث ثوبان: أن العبد ليلتمس مرضاة الله -تعالى- فلا يزال كذلك حتى يقول: يا جبريل، إن عبدي فلاناً يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي غلبت عليه»[2].

يعني: أن المراد بالمحبة هي الرحمة، كما يقوله الأشاعرة، وليس كذلك، بل المحبة صفة لله -تعالى- غير صفة الرحمة، ورحمة الله -تعالى- لعبده من لوازم محبته له، وقد تقدم تقرير ذلك، والرد على المحرفين من الأشاعرة وغيرهم[3].

وأسباب محبة الله -تعالى- لعبده متعددة، حسب ما دلت عليه النصوص في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، منها: التوبة، فالله -تعالى- يحب التوابين، ومنها: التطهير من الأنجاس الحسية والمعنوية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ومنها: الثبات أمام العدو صفوفاً كالبنيان المرصوص: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» الحديث.

قوله: «إن الله تبارك وتعالى» قال ابن عباس: تبارك: تفاعل من البركة، وهو

---

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٥٤١) تحقيق محمود شاكر.

(٢) «الفتح» (١٠/ ٤٦٢)، وقال: أخرجه أحمد والطبراني في «الأوسط».

(٣) انظر (ص٥٩) من الجزء الأول من هذا الشرح.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كقول القائل: تقدس ربنا»[1].

وقال الأزهري: «أخبرني المنذري عن أبي العباس، أنه سئل عن تفسير «تبارك الله» فقال: ارتفع، والمتبارك: المرتفع، ومعنى البركة: الكثرة في كل خير، وتبارك: تعالى وتعاظم، وقال ابن الأنباري: تبارك الله: أي: يتبرك باسمه في كل أمر، وقال الليث: تبارك الله: تمجيد وتعظيم، وقال أبو بكر: تبارك: تقدس، أي: تطهر، والمقدس: المطهر»[2].

وقال: «عن الليث: «تعالى» هو: العلي المتعالي، العالي الأعلى، ذو العلاء والعُلا والمعالي، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وهو الأعلى -سبحانه- بمعنى العالي، وتفسيره «تعالى»: جل عن كل ثناء، فهو أعظم وأجل وأعلى مما يثنى عليه، لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[3].

يعني: أن ثناء الخلق عليه -تعالى- لا يبلغ ما يستحقه من الثناء، ولا قريباً من ذلك، بل هو كما أثنى على نفسه، ولهذا قال النبي ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك، بل أنت كما أثنيت على نفسك»[4].

قال الأزهري: «وتفسير هذه الصفات لله -تعالى- يقرب بعضها من بعض، فالعلي: الشريف، فعيل من علا يعلو، وهو بمعنى العالي، وهو الذي ليس فوقه شيء، ويقال: هو الذي علا الخلق فقهرهم بقدرته.

وأما المتعالي: فهو الذي جل عن إفك المفترين، وتنزه عن وساوس المتحيرين، وقد يكون المتعالي بمعنى العالي.

والأعلى هو الله الذي هو أعلى من كل عال، واسمه الأعلى، أي: صفته أعلى الصفات»[5].

وقال ابن القيم: «الرب تعالى يقال في حقه: تبارك، ولا يقال: مبارك.

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (١٨/ ١٧٩).
(٢) «تهذيب اللغة» (١٠/ ٢٣٠) ملخصاً.
(٣) المرجع المذكور (٣/ ١٨٦).
(٤) رواه أبو داود في «السنن» (٢/ ١٣٤)، والترمذي رقم (٣٥٦١)، والنسائي (١٧٤٨)، وابن ماجه رقم (١١٧٩).
(٥) «تهذيب اللغة» (٣/ ١٨٦).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم قالت طائفة -منهم الجوهري-: إن تبارك بمعنى: بارك، مثل قاتل وتقاتل، إلا أن فاعل يتعدى، وتفاعل لا يتعدى. وهذا غلط عند المحققين، وإنما تبارك: تفاعل من البركة، وهذا الثناء في حقه -تعالى- إنما هو لوصف رجع إليه، كتعالى، فإنه تفاعل من العلو، ولهذا يقرن بين هذين اللفظين فيقال: تبارك وتعالى، وهو سبحانه أحق بذلك وأولى من كل أحد، فإن الخير كله بيده، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة، وخيرات لا شرور فيها.

وهذا ثناء يشعر بالعظمة والرفعة والسعة، كما يقال: تعاظم، وتعالى ونحوه، فهو دليل على عظمته، وكثرة خيره، ودوامه، واجتماع صفات الكمال فيه، وأن كل نفع في العالم كان ويكون، فمن نفعه -سبحانه- وإحسانه.

ويدل هذا الفعل أيضًا في حقه على العظمة، والجلال وعلو الشأن»[1].

قوله: «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل».

صريح في أن الله -تعالى- يحب من يشاء من عباده من أهل الطاعة له والتقوى، كما هو صريح أيضاً في أنه -تعالى- يتكلم وينادي متى شاء لمن يشاء، وفي هذا الحديث النداء لجبريل خاصة، وتقدم أن النداء لا يكون إلا بصوت مرتفع، وأن مثل هذه النصوص من أبلغ الأدلة على إثبات صفة الكلام لله -تعالى-، وهذا القدر من الحديث هو المقصود، إذ هو محل الشاهد، وفيه: أن جبريل عليه السلام بمجرد إخبار الله له بأنه تعالى يحب العبد يحبه، وأنه هو سفير الله -تعالى- إلى الملائكة، كما أنه سفيره إلى الرسل من البشر، ولهذا قال: «ثم ينادي جبريل في السماء»، مما يعجب له العاقل أن جميع شراح الحديث الذين اطلعت على أقوالهم يقولون: إن هذا الندا من جبريل نداء حقيقي يسمع منه بصوته، تسمعه ملائكة السماء، وأكثرهم يقول: إن النداء المسند إلى الله -تعالى- ليس حقيقياً، وإنما معناه: أمره لمن ينادي، أو إعلام جبريل بما يفهم منه أن الله يحب ذلك العبد.

وهكذا يتلاعبون بكلام الله وكلام رسوله، مما سبب ضلال كثير من الخلق.

والله - جل وعلا- سوف يسألهم عن ذلك، وسوف يعلمون حين يقفون بين يديه أي جناية جنوها عليه وعلى أنبيائه، وعلى شرعه، وعلى عباده.

---

(١) «جلاء الأفهام» (ص٢٠٦-٢٠٧). وانظر بقية الكلام فيه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والمراد بالسماء هنا: الجنس، أي: السموات، ونداؤه فيهم يقول: «إن الله قد أحب فلاناً، فأحبوه».

«فيحبه أهل السماء» أي: أن ملائكة السموات بمجرد إخبار جبريل وأمره يحبونه؛ لأنهم يحبون الله ويحبون ما يحبه، ومن ثمرات ذلك: استغفارهم لهذا العبد، وموالاتهم له، وهذا في الحقيقة هو الشرف والرفعة، وبه تحصل السعادة بمشيئة الله -تعالى-.

«فيوضع له القبول في أهل الأرض» أي: تقبله قلوبهم وتحبه؛ لأن الله -تعالى- يحبه، ومن أحبه الله -تعالى- حببه إلى عباده في السموات والأرض.

فشهدوا له بالخير ورجوا له الفلاح؛ لما وقع في قلوبهم له.

١١٣- قال: «حدثنا قُتَيْبَةُ بنُ سعيدٍ، عن مالكٍ، عن أبي الزِّنادِ، عن الأَعْرَجِ، عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «يَتعاقَبُونَ فيكم ملائكةٌ بالليل، وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعونَ في صلاةِ العصر، وصلاةِ الفجرِ، ثم يَعْرُجُ الذينَ باتوا فيكم، فَيَسْأَلُهُمْ، وهو أعلمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبادي؟

فيقولونَ: تَرَكْناهُمْ يُصَلُّونَ، وأَتَيْناهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ».

تقدم هذا الحديث وشرح في باب قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، والمقصود منه في هذا الباب قوله: «فيسألهم -وهو أعلم بهم- كيف تركتم عبادي؟»؛ لأن الظاهر من السؤال أنه بالكلام وسماع صوت السائل.

وملائكة الله لكل منهم مقام معلوم لا يتجاوزه، وأعلاهم مقاماً جبريل عليه السلام، وقد سبق أنه تعالى يناديه، فهؤلاء أولى بالمناداة؛ لأنهم أنزل مقاماً منه.

وفي الأنبياء: «الملائكة يتعاقبون، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار» فعلى هذه لا يكون فيه شاهد لما يسمى بلغة «أكلوني البراغيث».

وفي سؤال الله -تعالى- عن عباده، مباهاة بهم، وإظهار لفضلهم عند الملائكة، وبيان لشيء من عظيم كرم الله -تعالى- وإحسانه.

١١٤- قال: «حدثنا محمدُ بنُ بَشّارٍ، حدثنا غُنْدَرٌ، حدثنا شُعْبَةُ، عن واصلٍ، عن المَعْرُور، قالَ: سمعتُ أبا ذَرٍّ، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «أتاني جبريلُ فَبَشَّرني أنه مَنْ ماتَ لا يُشْرِكُ بالله شيئاً دَخَلَ الجنةَ» قلتُ: وإنْ سَرَقَ وإنْ زَنَى؟ قال: «وإنْ سَرَقَ، وإنْ زَنَى».

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قوله: «أتاني جبريل» يعني: بالوحي من الله، فهو لا يأتي إلا بأمر الله -تعالى- له.

«فبشرني»، البشرى: هي الإخبار بما يسر؛ لأن ذلك يغير بشرة الوجه؛ لأن النفس إذا سرت انتشر الدم في الجسم كانتشار الماء في عروق الشجرة، فيظهر ذلك على وجه المبشر.

وقد تستعمل البشارة فيما يسوء، من باب النكاية والتهكم والإياس من الخير[1].

«من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» يعني: وإن حصل منه تقصير بالواجبات، وفعل لبعض المحرمات غير الشرك، فإن من مات على ذلك دخل الجنة، ولا ينافي هذا حصول العذاب له، بل قد يعذب في قبره، وبعد ما يبعث، وقد يدخل النار، ثم يخرج منها بعدما يطهر من الخطايا التي تلطخ بها في الدنيا، وقد يعفو الله عنه فيدخله الجنة بلا عذاب، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة جداً.

فكل عاص لله -تعالى- من الموحدين لا بد من دخوله الجنة وإن أصابه ما أصابه، وإنما الشأن في اجتناب الشرك، فهو أمر صعب إلا على من هدى الله قلبه، وهو أنواع، منها الجلي والخفي.

فقوله: «لا يشرك بالله شيئاً» يعم أنواع الشرك كلها؛ لأنه نكرة بعد النفي، فيدخل فيه الأصغر، والقليل، والله المستعان.

«قلت: وإن سرق، وإن زنى» كأنه فهم من هذا الإطلاق أن ما عدا الشرك من الذنوب يحصل دخوله مع وجوده، فأراد أن يتثبت عن هذا المفهوم، فأخبره أن ذلك صحيح، وأن من اجتنب الشرك دخل الجنة، وإن تفاوت دخول العصاة غير المشركين الجنة في الوقت والمكان، أعني تقدم الدخول والمنزلة.

والشاهد منه: قوله: «فبشرني أنه من مات» إلى آخره؛ لأن هذه البشارة لا بد أن تكون من الله، أرسل جبريل بها إلى محمد ﷺ، والرسالة لا تكون إلا بالكلام، والنداء داخل فيه، فالله -تعالى- قد نادى جبريل أن يذهب بهذا الأمر إلى محمد ﷺ، والله أعلم.

---

(١) انظر «المفردات» للراغب (ص٤٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قالَ: بابُ قول الله -تعالى-: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾.

الضمير في «أنزله» يعود إلى القرآن، كما هو واضح من الآية، وهي قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾. «لكن» للاستدراك مما سأله اليهود فيما ذكره الله عنهم بقوله: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾، فهم يرون أن مجيء الوحي إليه بواسطة جبريل غير كافٍ في الدلالة على نُبُوَّته، وأنه إذا كان صادقًا فليأت بكتاب من السماء، كما جاء موسى -عليه السلام- بالتوراة مكتوبة.

ثم ذكر تعالى أنهم سألوا موسى ما هو أكبر من ذلك، سألوه أن يُرِيَهم الله جهرة، وعدّد تعالى ما فعلوه من الظلم والتعنت والبهتان العظيم، والكفر، ورميهم مريم بالزنا، ومحاولتهم قتل رسول الله عيسى، وأكلهم الربا، وذكر ما أصابهم بسبب ذلك، ثم ذكر تعالى أن منهم راسخين في العلم، ومؤمنين بما أنزل الله من كتاب، ثم أخبر تعالى أنه أوحى إلى محمد كما أوحى إلى النبيين من قبله، وعدد بعضهم، وبعضا منهم لم يذكره، وأنه تعالى خص موسى بتكليمه، ثم ذكر الحكمة من إرسال الرسل؛ لئلا يكون للناس على الله حجة، ثم قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾ الآية.

قال ابن جرير: «يعني بذلك -جل ثناؤه- إن يكفر بالذي أوحينا إليك يا محمد اليهود الذين سألوك أن تُنزِّل عليهم كتاباً من السماء، وقالوا لك: ما أنزل الله على بشر من شيء، فكذبوك، وليس الأمر كما قالوا، «لكن الله يشهد» بتنزيله إليك من الكتاب، والوحي، أنزل ذلك إليك، بعلم منه بأنك خِيرَته من خلقه، وصَفيّه من عباده، ويشهد لك بذلك الملائكة، فلا يَحزُنك تكذيب من كذبك، وخلاف من خالفك، وحسبك بالله شاهداً على صدقك، فإنه لا يضرك مع ذلك تكذيب من كذبك»[1].

ومراد البخاري بهذه الترجمة أن يبين أن القرآن من علم الله -تعالى- وصفة له، فليس مخلوقاً، فكأنه يقول: أنزله فيه علمه، أي: هو من علمه، وقد احتج الإمام أحمد على كفر من قال: القرآن مخلوق، بأن القرآن من عِلْم الله، فمن زعم أن عِلْم

(١) «تفسير الطبري» (٩/ ٤٠٩) تحقيق محمود شاكر.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الله مخلوق فهو كافر، واستدل على ذلك بنحو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ وقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾[1].

وتقدم الكلام على هذه الآية وذكر أقوال المفسرين فيها[2].

قَوْلُهُ: «قالَ مجاهدٌ: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ بينَ السماءِ السابعةِ والأرضِ السابعة».

مقصوده أن الله -تعالى- أخبر بأنه خلق السموات السبع ومن الأرض مثلهن، ثم ذكر أن الأمر يتنزل بينهن، أي: بين السموات وبين الأرضين، فالأمر غير الخلق، ثم قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ فأمره تعالى الذي يتنزل بين السموات والأرض بعلمه، وأمره، وعلمه من صفاته.

فأمْرُ الله -تعالى-، وعلمه، وحكمه، وتصرفه، ينفذ في السموات السبع والأرضين السبع، لا يمتنع عليه شيء، ولا يخفى عليه فيهن شيء، فالكل في قبضته وتحت تصرفه، وفي علمه واطلاعه جل وعز.

وما يذكره كثير من المفسرين عند هذه الآية من أن الأرضين سبع طبقات منفصل بعضها عن بعض، وبين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمِئَةِ عام، وبعضهم يذكر أن في كل أرض أنبياء مثل الذين ذُكِروا في القرآن وعلى أسمائهم، إلى آخر ما ذكروه مما يشبه هذيان المجانين، كل ذلك خرافات مصدرها زنادقة اليهود وإخوانهم من كل شيطان رجيم.

قال القرطبي: «﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: سبعاً، واختلفوا فيهن على قولين: أحدهما: قول الجمهور، أنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض، بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء، وفي كل أرض سكان من خلق الله.

وقال الضحاك: «ومن الأرض مثلهن» أي: سبعاً من الأرضين، ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق، بخلاف السموات.

والأول أصح؛ لأن الأخبار دالة عليه»[3].

---

(١) انظر «السُّنَّة» لعبدالله بن الإمام أحمد (ص٩-١٠).

(٢) انظر الجزء الأول من هذا الشرح من (٩٣).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٧٤-١٧٥).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قلت: بل قول الضحاك هو الصواب، والأول باطل قطعاً بدون شك، وما زعمه من أنه قول الجمهور، وأن الأخبار دالة عليه، ليس كما زعم.

نعم، قد روي عن ابن عباس، فإن صح فهو مما تلقاه من أهل الكتاب ممن هو متهم بالكذب منهم، وأما دلالة الأخبار عليه فليس فيه أخبار صحيحة صريحة في الدلالة عليه، بل نقطع أن الأخبار عن الله ورسوله لم تدل عليه؛ لأن كلام الله وكلام رسوله حق، لا يؤيد الباطل ولا يدل عليه، بل الأخبار دلت على أن الأرضين سبع فقط، بدون فتوق، كما في «الصحيحين» «من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين» ونحوه من الأحاديث.

فيتعين حملها على أنها طبقات غير مفتوقة، كما قاله الضحاك.

وفي هذا الوقت أمكن الدوران على الأرض في وقت وجيز جداً مما يبين بالحس والمشاهدة بطلان ما رجحه القرطبي.

١١٥- قال: «حدثنا مُسَدَّدٌ، حدثنا أبو الأَحْوَصِ، حدثنا أبو إسحاقَ الهَمَدَانيُّ، عن البَراءِ بن عازبٍ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يا فُلانُ، إذا أَوَيْتَ إلى فراشكَ فقل: اللهمَّ أَسلمتُ نَفْسِي إليكَ، وَوَجَّهتُ وَجْهي إليكَ، وَفَوَّضْتُ أمْري إليكَ، وأَلْجَأتُ ظَهْري إليكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إليكَ، لا مَلْجَأ ولا مَنْجا مِنْكَ إلا إليكَ، آمَنْتُ بكتابكَ الذي أَنْزَلْتَ، وبنبيكَ الذي أرْسَلْتَ، فإنكَ إنْ مُتَّ في لَيْلَتِكَ مُتَّ على الفِطْرَةِ، وإنْ أصْبَحْتَ أصَبْتَ خَيْراً».

البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي، استصغره رسول الله ﷺ يوم بدر هو وابن عمر، فردّهما، وشهد أُحُدًا وما بعدها من الغزوات، وروي عنه أنه غزا مع النبي ﷺ أربع عشرة غزوة، وفي رواية: خمس عشرة، قال الحافظ: إسناده صحيح.

وقال: سافرت مع رسول الله ﷺ ثمانية عشر سفرًا. أخرجه أبو ذر الهروي[1].

وكان يقول: أنا الذي أرسل معه النبي ﷺ السهم إلى قليب الحديبية فجاش بالري.

قال الذهبي فيه: «الفقيه الكبير، من أعيان الصحابة، نزل الكوفة، توفي سنة

(١) «الإصابة» (١/ ٢٧٨)، وانظر «أسد الغابة» (١/ ٢٠٥).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اثنتين وسبعين، أو إحدى وسبعين، عن بضع وثمانين سنة»[1].

قوله: «يا فلان» جاء في الروايات الأخرى أن المُخاطَب هو البراء بن عازب، ففي الدعوات عند المؤلف: «عن عبيدة قال: حدثني البراء بن عازب، قال: قال لي رسول الله ﷺ ...» وذكر الحديث[2]، وفيه: «إذا أتيت إلى مضجعك فتوضأ وضوءَك للصلاة». قال الحافظ: ظاهره استحباب تجديد الوضوء لكل من أراد النوم، ولو كان على طهارة.

ويحتمل أن يكون مخصوصاً بمن كان محدثاً»[3].

«إذا أويت إلى فراشك» أوى إلى مكان: إذا أقام فيه، ورجع إليه، والمعنى: إذا جئت إلى فراشك تريد النوم.

«فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك» قال الحافظ: «على رواية «فتوضأ» الأمر فيه للندب، وله فوائد، منها: أن يبيت على طهارة؛ لئلا يبغته الموت، فيكون على هيئة كاملة، ويؤخذ منه الندب إلى الاستعداد للموت بطهارة القلب؛ لأنه أولى من طهارة البدن.

وقد أخرج عبدالرزاق، عن مجاهد قال: قال لي ابن عباس: «لا تنامن إلا على وضوء، فإن الأرواح تُبعث على ما قبضت عليه».

وروي عن أبي مرثد العجلي، قال: «من أوى إلى فراشه طاهراً، ونام ذاكراً، كان فراشه مسجداً، وكان في صلاة وذِكْر حتى يستيقظ، ومن أوى إلى فراشه غير طاهر، ونام غير ذاكر، كان فراشه قبراً، وكان جيفة حتى يستيقظ»[4].

ويتأكد ذلك في حق الجنب، وإن اغتسل قبل نومه فهو أفضل.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٩٤).

(٢) انظر «الفتح» (١١/ ١٠٩).

(٣) «الفتح» (١/ ٣٥٨).

(٤) «المصنف» (١١/ ٣٧، ٧٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنها: أن يكون ذلك أبعد عن تلاعب الشيطان، وأصدق للرؤيا»[1].

وقوله: «**اللهم أسلمت نفسي إليك**» أي: استسلمت لك، نفسي منقادة مذعنة لك، راضية بك رباً، وبدينك شرعاً، وبنبيك رسولاً، ومنقادة لحكمك وقضائك، لا إله إلا أنت.

«**ووجهت وجهي إليك**» أي: جعلت قصدي ومرادي إليك، راجياً ثوابك، خائفاً من عقابك.

«**وفوضت أمري إليك**» أي: توكلت عليك مستكفياً بك، فأمري كلّه إليك تتصرف فيَّ كيف تشاء، ورغبتي في جودك وفضلك.

«**وألجأت ظهري إليك**» أي: أنت عمادي، وعليك استنادي، فأعتمد عليك بأن تكفيني كل ما أهمني، وتحميني من كل ما يؤذيني.

«**رغبة ورهبة إليك**» أي: أفعل ذلك راغباً في فضلك وإحسانك، وراهباً من عقابك وعذابك بسبب ذنوبي.

«**لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك**» أي: لا مهرب ينجي من هرب منك، ولا نجاة لمن أردته بعذابك، إلا بالرجوع إليك، والاستسلام لك، والإنابة إليك.

«**آمنت بكتابك الذي أنزلت**» أي: أتوسل إليك بأني أصدِّق وأوقن بأن الكتب التي أنزلتها على رسلك هي قولك حقاً، وفيها الهدى والنور، الذي هو شرعك، ولمن اتبعها السعادة، ومن أعظمها القرآن الذي أنزلته على عبدك ورسولك محمد خاتم الرسل ﷺ، فأنا أؤمن بذلك، وأرغب إليك بأن تستجيب دعائي لذلك.

وهذا القدر من الحديث هو محل الشاهد، فإن كتاب الله هو كلامه وفيه عِلْمه، كما قال الزّجّاج: «﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ أي: أنزل القرآن الذي فيه علمه»[2].

فمن زعم أن القرآن مخلوق، لزمه أن يكون عِلْم الله مخلوقاً، وهذا كفر، كما قاله الأئمة أحمد وغيره.

«**ونبيك الذي أرسلت**» أي: أتوسل إليك بإيماني واتباعي لنبيك محمد ﷺ

---

(١) «الفتح» (١١/ ١١٠).

(٢) انظر «معاني القرآن وإعرابه» (٢/ ١٤٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي أرسلته إلينا ليبلغنا كلامك، وأمرك ونهيك، كما أؤمن بكل نبي لك أوحيت إليه وأرسلته إلى عبادك.

«**فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة**» يعني: إن كانت نومتك تلك فيها قبض روحك، وفراقها لبدنك، فإنك تموت على السُّنَّة التي جاء بها نبيك، ومن مات عليها فهو السعيد.

«**وإن أصبحت أصبت خيراً**» أي: إن رُدَّت روحك بعد النوم إلى جسمك وأصبحت حياً ، نلت بهذا الدعاء أجراً عند الله.

١١٦- قال: «حدثنا قُتَيْبَةُ بنُ سعيدٍ، حدثنا سفيانُ عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ، عن عبدِالله بن أبي أَوْفَى، قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ يومَ الأحزابِ: «اللهمَّ مُنْزِلَ الكتابِ، سَرِيعَ الحسابَ، اهْزِمِ الأحزابَ، وزَلْزِلْهُمْ.

زادَ الحُمَيْدِيُّ: حدثنا سفيان حدثنا ابنُ أبي خالدٍ، سمعتُ عبدَالله، سمعتُ النبيَّ ﷺ».

عبدالله بن أبي أوفى -واسم أبي أوفى: علقمة بن خالد الأسلمي- هو وأبوه صحابيان، شهد الحديبية، وبايع بيعة الرضوان، وقال: غزوت مع رسول الله ﷺ ست غزوات نأكل الجراد[1].

لما قبض النبي ﷺ ذهب عبدالله إلى الكوفة، وهو آخر من توفي فيها من الصحابة، ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم صل على آل أبي أوفى» توفي رضي الله عنه سنة ست وثمانين، أو ثمان وثمانين[2].

قوله: «يوم الأحزاب» يدل على أن هذا الدعاء كان في غزوة الأحزاب، وجاء في روايات: «أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي العدو، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال: «لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ثم قال: «اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم».

---

(١) انظر «تحفة الأحوذي» (٥/ ٥٤٧، ٥٤٨).

(٢) انظر «الإصابة» (٤/ ١٨)، و«أسد الغابة» (٣/ ١٨٢)، «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٢٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو يدل على أنه يدعو بذلك عند لقاء العدو.

«**اللهم منزل الكتاب**» هذا توسل إلى الله -تعالى- بفضله على عباده من إنزاله الكتاب الذي فيه حياة القلوب، والاعتصام من الضلال، وفيه وعده الكريم لعباده بالنصر والتأييد، كقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾[1].

«**سريع الحساب**» قال ابن جرير: «إنما وصف -جل ثناؤه- نفسه بسرعة الحساب؛ لأنه -جل ذكره- يحصي ما يحصي من أعمال عباده بغير عقد أصابع، ولا فكر، ولا روية -فعل العجزة الضعفة من الخلق- ولكنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فيهما.

ثم هو تعالى مجاز عباده على كل ذلك، فلذلك امتدح نفسه -جل ذكره- بسرعة الحساب، وأخبرَ خلقه أنه ليس لهم بمثيل، فيحتاج في حسابه إلى عقد كف أو وعي صدر»[2].

وقال على قوله: ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ أي: أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم، وغير ذلك من أموركم -أيها الناس-، وأحصاها، وعرف مقاديرها ومبالغها؛ لأنه لا يحسب بعقد يد، ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية، ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾»[3].

وهو -جل ذكره- سريع محاسبة عباده يوم القيامة، حيث لا يشغله محاسبة واحد عن الآخر.

«**اهزم الأحزاب وزلزلهم**» الهزيمة هي: القهر والإذلال، والزلزلة: الاضطراب، وعدم الثبات، فهو يدعو عليهم بأن يقهرهم، ويذلهم بأيدي المسلمين، وأن ينزل عليهم الرعب والخوف الذي يزلزل قلوبهم وأجسامهم.

قوله: «**زاد الحميدي**» إلى آخره: مراده به: التصريح بالسماع، بخلاف قتيبة بن

---

(١) الآية ١٤ من سورة التوبة.

(٢) «تفسير الطبري» (٤/ ٢٠٧-٢٠٨) بتحقيق محمود شاكر.

(٣) المصدر السابق (١١/ ٤١٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سعيد فإنه عنعن السند.

والمقصود من الحديث قوله: «اللهم منزل الكتاب» فإنه تعالى أنزله منه، فهو قوله ووصفه، ولو كان مخلوقاً كما يقوله الضالون، ما احتاج إلى إنزال بل يخلقه في أي مكان، فهو تعالى أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً، ونحن نشهد بذلك، ونرجو من منزل الكتاب، وسريع الحساب وهازم الأحزاب ومزلزلهم، أن يثبتنا على هذه الشهادة ويثيبنا عليها خير ثواب.

١١٧- قالَ: «حدثنا مُسَدَّدٌ، عن هُشَيْم، عن أبي بِشْر، عن سعيدِ بن جُبَيْر، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ قال: أُنزلتْ ورسول الله ﷺ متوار بمكةَ، فكانَ إذا رفعَ صوتَهُ سمعَ المشركونَ فسبُّوا القرآنَ ومَنْ أنزله، ومَنْ جاءَ به، وقال الله -تعالى-: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ لا تجهرْ بصلاتكَ حتى يسمعَ المشركونَ، ولا تخافتْ بها عن أصحابكَ فلا تُسْمِعُهمْ ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ أسْمِعْهُمْ ولا تجهرْ حتى يأخذوا عنكَ القرآنَ».

المراد بالصلاة في الآية: القراءة، وقد قال ابن جرير -رحمه الله- «لولا أننا لا نستجيز مخالفة أهل التفسير فيما جاء عنهم لاحتمل أن يكون المراد: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتك نهاراً، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ أي: ليلاً، وكان ذلك وجهاً لا يبعد في الصحة»[1].

وقد جاء ذلك مفسراً كما في هذا الحديث أن المراد: القراءة وهو يصلي، فكان صلوات الله وسلامه عليه يرفع صوته في القراءة، رجاء أن يؤثر فيمن يسمعه من كفار قومه فيسلموا، ويسمعه من معه من المسلمين فيحفظوا، وكان للقرآن وقع عظيم في قلوبهم وأثر بالغ في نفوسهم، ولذلك منعه الملأ من الكفار؛ خوفاً أن يتأثر به بعضهم فيسلموا، كما جربوا ذلك وقالوا: إن رفعت صوتك به هجوناك، وهجونا من قاله، ومن جاء به، فأمره الله -تعالى- أن لا يرفع صوته، وألا يخافت به بحيث لا يسمعه من عنده من المسلمين، بل يبتغي بين الجهر والإخفات سبيلاً، فيكون وسطاً بين الجهر والإخفات.

والمقصود قوله: «**أُنزِلَت ورسول الله ﷺ متوار بمكة**» والإنزال غير الخلق، بل

(١) انظر «تفسير الطبري» (١٥/ ١٨٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هو كلامه، نزل بعلمه -تعالى-، فهو صفته.

فلا يجوز أن يعطى حكم المخلوق المفعول، كما أن المخلوق لا يجهر به ولا يخافت، وكون الرسول ﷺ وغيره ممن يقرؤه، يرفع صوته به أو يخفضه، لا يخرجه من كونه كلام، بل هو دليل على أنه كلام الله -تعالى- قرأه عبده، فرفع به صوته أو خفضه؛ لأن الكلام لمن قاله مبتدئاً، لا لمن قاله مبلغاً مؤدياً، كما سيأتي بيان ذلك.

□□□

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قالَ: «بابُ قول الله -تعالى-: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ حق. ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ باللعب.

قال الله -تعالى-: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

قال ابن جرير: «يقول -تعالى ذكره- لنبيه محمد ﷺ: سيقول لك المخلفون في أهليهم عن صحبتك -إذ سرت معتمراً، تريد بيت الله الحرام، إذا انطلقت أنت ومن صحبك في سفرك ذلك إلى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنيمة ﴿لِتَأْخُذُوهَا﴾، وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من مغانم خيبر-: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾إلى خيبر، فنشهد معكم قتال أهلها: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾، يقول: أن يغيروا وعد الله لأهل الحديبية، وذلك أن الله -تعالى- جعل مغانم خيبر لهم، ووعدهم ذلك، عوضاً من غنائم أهل مكة، إذ انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيئاً»[2]. ثم روى ذلك عن مجاهد، وقتادة، ومقسم.

قال الحافظ: «قال ابن بطال: أراد بهذه الترجمة، وأحاديثها، ما أراد في الأبواب قبلها -أن كلام الله تعالى- صفة قائمة به، وأنه لم يزل متكلماً ولا يزال.

والذي يظهر أن غرضه أن كلام الله، لا يختص بالقرآن، فإنه ليس نوعاً واحداً، وأنه وإن كان غير مخلوق، وهو صفة قائمة به، فإنه يلقيه على من يشاء من عباده بحسب حاجتهم في الأحكام الشرعية وغيرها من مصالحهم، وأحاديث الباب كالمصرحة بهذا المراد»[3].

قال في: «خلق أفعال العباد»: «باب: ما كان النبي ﷺ يذكر ويروي عن ربه

(١) الآية ١٥ من سورة الفتح.

(٢) «تفسير الطبري» (٢٦/ ٧٩-٨٠).

(٣) «الفتح» (١٣/ ٤٦٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

-عز وجل-» ثم ذكر نحو ما ذكره هنا من الأحاديث.

ويمكن أنه أراد بيان أن كلام الله يكون بأمره وشرعه، ووعده وجزائه، بخلاف خلقه، فإنه الصادر عن قوله: «كن»، وخلق الله لا يبدل، كما قال -تعالى-: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أما قوله: فيمكن أن يبدل، أو يحرف. وهذه الآية من الأدلة على أن هذا القرآن كلام الله -تعالى-، وأن ما يقوله الأشاعرة: أن كلام الله ما قام في نفسه، باطل، إذ لا يمكن أن يبدل ما في نفسه تعالى.

وقد تبين بما ذكره ابن جرير -رحمه الله- أن معنى قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ هو خروج المتخلفين عن الحديبية إلى خيبر؛ لأن الله -تعالى- وعدهم مغانم خيبر خاصة بهم.

والقول الثاني في الآية: أن المراد تبديله هو قوله تعالى: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾. غير أن ابن جرير رد هذا القول.

وسياق الآية يؤيد هذا القول، فإنه تعالى قال: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾. والله أعلم.

قال البغوي: ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ حَقٌّ، وجِدٌّ، يفصل بين الحق والباطل.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ باللعب والباطل»[1].

١١٨- قال: «حدثنا الحُمَيْديُّ، حدثنا سُفْيانُ، حدثنا الزُّهْريُّ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، عن أبي هريرةَ، قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «قالَ الله -تعالى- يُؤْذيني ابنُ آدمَ يَسُبُّ الدهرَ، وأنا الدهرُ، بيدي الأمرُ، أُقَلِّبُ الليلَ، والنهارَ».

قال ابن كثير: «معناه أنهم يقولون: يا خيبة الدهر، فعل كذا وكذا. فيسندون أفعال الله -تعالى- إلى الدهر، ويسبونه، وإنما الفاعل هو الله -عز وجل-، فنهى عن ذلك، هكذا قرره الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من العلماء»[2].

وقال شيخ الإسلام: «للناس في هذا الحديث قولان:

---

(١) تفسير البغوي على هامش الخازن (٧/ ٢٣٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥١٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أحدهما: قول أبي عبيد وأكثر العلماء: إنه خرج الكلام فيه لرد ما يقوله أهل الجاهلية، ومن أشبههم: فإنهم إذا أصابتهم مصيبة، أو منعوا أغراضهم، أخذوا يسبون الدهر، والزمان، يقول أحدهم: قبح الله الدهر الذي شتت شملنا، ولعن الله الزمان الذي جرى فيه كذا وكذا، وما يقع كثيراً من الشعراء، وأمثالهم، كقولهم: يا دهر، فعلت كذا، وهم يقصدون سب من فعل تلك الأمور ويضيفونها إلى الدهر، فيقع السب على الله -تعالى وتقدس-؛ لأنه هو الذي فعل تلك الأمور، وأحدثها، والدهر مخلوق له، هو الذي يصرفه، ويقلبه.

والتقدير: أن ابن آدم يسب من فعل هذه الأمور، وأنا فعلتها، فإذا سب الدهر فمقصوده سب الفاعل، وإن أضاف الفعل إلى الدهر، فالدهر لا فعل له، وإنما الفاعل هو الله وحده.

وهذا كرجل قضى عليه قاضٍ بحق، أو أفتاه مفت بحق، فجعل يقول: لعن الله من قضى بهذا، أو أفتى بهذا، ويكون ذلك من قضاء النبي ﷺ وفتياه، فيقع السب عليه، وإن كان الساب لجهله أضاف الأمر إلى المبلغ، وهو ليس له إلا فعل التبليغ.

وأما الزمان، فلا فعل له، وإنما الله هو الذي يقلبه ويصرفه.

والقول الثاني: قول نعيم بن حماد، وطائفة معه: أن الدهر من أسماء الله، ومعناه: القديم الأزلي.

وهذا المعنى صحيح؛ لأن الله -تعالى- هو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، ولكن لا يسمى بالدهر، الذي هو الزمان، أو ما يجري مجرى الزمان»[1].

وقال ابن قتيبة: «معناه: أن العرب في الجاهلية يقولون: أصابني الدهر في مالي، ونالتني قوارع الدهر، وبوائقه، ويقول الهرم: حناني الدهر. فينسبون كل شيء تجري به أقدار الله -عز وجل- عليهم من موت، أو سقم، أو ثكل، أو هرم إلى الدهر، ويلعنونه، ويسمونه: المنون، كما ذكر الله عنهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ والمنون: المنية، قال أبو ذؤيب:

أمن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

(١) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٤٩٣-٤٩٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الدهر إذا أصابتكم المصائب، ولا تنسبوها إليه فإن الله -عز وجل- هو الذي أصابكم بذلك، لا الدهر»[1].

وهذا هو ما ذكره شيخ الإسلام عن جمهور العلماء.

وكثير من الناس واقعون في هذا المنكر. وتقدم الكلام فيه.

والمقصود هنا: قوله: «قال الله: يؤذيني ابن آدم». وهذا خبر يتضمن النهي، والله -تعالى- يتأذى من فعل بني آدم، ولكن لا يضره شيء تعالى وتقدس، ووجه الشاهد منه أن هذا القول صدر من الله فيه إخباره -تعالى- عما يقع له من بني آدم، وهو بمعنى النهي والزجر، ومعلوم أنه لا يقع شيء إلا بإذنه وإرادته، ومن يسب الدهر كأنه يريد تبديل حكم الله وأمره الذي وجدت به الكائنات.

وقوله: «وأنا الدهر» لا يدل على أنه تعالى اسمه الدهر؛ لأنه فسره بقوله: «بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» فكونه تعالى بيده الأمر يقلب الليل والنهار، هو معنى قوله: «أنا الدهر».

١١٩- قالَ: «حدثنا أبو نُعَيْم، حدثنا الأَعْمَشُ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ قالَ: «يقولُ الله -عز وجلِ- الصومُ لي، وأنا أَجْزِي به، يَدَعُ شهوتَهُ، وأَكْلَهُ وشُرْبَهُ مِنْ أجْلي، الصومُ جُنَّةٌ، وللصائم فرحتان، فرحةٌ حينَ يُفْطِرُ، وفَرْحَةٌ حين يَلْقَى رَبَّهُ، ولَخَلُوفُ فَمِ الصائمِ أطيبُ عندَ الله منْ ريحِ المِسْكِ».

«الصوم لي» يعني: أن الصوم غالباً يكون خالصاً لله -تعالى- سالماً من شوائب الشرك، من إرادة غير الله -تعالى-؛ لأنه أمانة بين العبد وربه لا يطَّلع عليه إلا الله -تعالى-، فإنه يجوز أن يظهر للناس أنه صائم، وهو في حقيقة الأمر غير صائم.

فإذا امتنع من شهوته وأكله وشربه، دل ذلك على أنه أراد ما عند الله -تعالى- وقد فسره بقوله: «يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي».

قوله: «وأنا أجزي به» يعني: أن جزاء الأعمال قد أخبر الله -تعالى- عباده بها، أن الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمِئَةِ ضعف، أما الصوم فالله يجزي به بدون تقدير؛ لعظيم جزائه، وهذا يدل على فضل الصوم إذا كان خالصاً لله -تعالى-.

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص١٥١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي» هذا هو السبب في كونه لله، وأنه يتولى جزاءه بغير تقدير، وفسرت الشهوة بالجماع، والأولى أن تكون عامة في كل ما يشتهي، ويكون عطف الأكل والشرب من عطف الخاص على العام.

«الصوم جنة» في رواية سعيد بن منصور: «جنة من النار»، ومثله عند النسائي.

وفي رواية له من حديث عثمان بن أبي العاص: «الصيام جنة كجنة أحدكم من القتال».

والجنة: بضم الجيم: الوقاية، والستر، وهذا أولى ما فسر به متعلق الجنة. واختار النووي: أنه جنة من جميع الشرور.

وفي رواية لأحمد: «الصيام جنة ما لم يخرقها»، زاد الدارمي: «بالغيبة»[1].

«**وللصائم فرحتان**: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه» يعني: أنه يفرح إذا كمل يومه صائماً، فيؤمل ثواب ذلك عند الله، ويتناول طعامه وشرابه الذي أحله الله له بعد ما منعه منه لأجل صومه.

ويفرح إذا لقي ربه عندما يجزيه أعظم جزاء، وهذه أعظم فرحة وأحلى.

«ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» الخلوف هو: تغير الفم من أثر خلو المعدة من الطعام، فيتصاعد منها أبخرة تغير رائحة الفم.

ولما كان ذلك بسبب الطاعة، كان عند الله طيباً، كدم الشهيد، فإنه يأتي يوم القيامة لونه لون الدم، ورائحته رائحة المسك».

والمقصود من الحديث قوله: «يقول الله -تعالى- الصوم لي» إلى آخره، كالذي قبله. ووجه الشاهد منه: أن الله يقول هذا القول الذي فيه حث العباد وترغيبهم في الصوم، فهو مما شرعه الله -تعالى- لعباده، ورضيه لهم بقوله وأمره، وهو قول أنزله على رسوله ليبلغه.

١٢٠- قالَ: «حدثنا عبدُالله بنُ محمدٍ، حدثنا عبدُ الرزاقِ، أخبرنا مَعْمَرٌ، عن هَمّامٍ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «بينما أيوبُ يغتسلُ عرياناً، خَرَّ عليهِ رجْلُ جَرادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فجعلَ يحثي في ثوبِهِ، فنادى ربه: يا أيوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمّا تَرَى؟ قالَ: بَلَى يا ربِّ، ولكنْ لا غِنَى بي عَنْ بَرَكَتِكَ».

(١) انظر «الفتح» (٤/ ١٠٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«بينما أيوب يغتسل عرياناً» يعني: وهو خال. استدل به البخاري على جواز الغسل عرياناً في الخلوة، فقال: باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة، ومن تستر، فالستر أفضل»[1].

«خر عليه رجل جراد من ذهب» رجل الجراد: القطعة من الجراد، كما قال الأزهري: «الرجل: القطعة من الجراد»[2].

وهذا جراد على خلاف المعهود، وإنما هو ذهب أنزله الله على نبيه أيوب، على صور الجراد، وذلك من جزاء صبره على البلاء، ورضاه بما قدره الله.

«فجعل يحثي في ثوبه» أي: يجمع من ذلك الذهب بيديه جميعاً، ويضعه في ثوبه.

«فنادى ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك؟» هذا النداء يجوز أن يكون بواسطة، ويجوز أن يكون بدون واسطة على ظاهره؛ لأنه تجرد عن قرينة تعين ذلك.

وقوله: «ألم أكن أغنيتك؟» يدل على أن الله -تعالى- قد أعطاه من المال قبل هذا ما فيه غناه، ولهذا قال: «بلى يا رب، ولكن لا غنى بي عن بركتك» سمي هذا الذهب بركة؛ لأنه أرسل عليه بدون صنع آدمي أو كده، بل هو من عند الله -تعالى-، ففي ذلك طلب الزيادة من الخير. وفيه ما جبل عليه الإنسان من حب المال.

والمقصود منه قوله: «فنادى ربه: ألم أكن أغنيتك عما ترى؟» إذ هو من كلام الله -تعالى- لنبيه أيوب، المتضمن إفضاله عليه، وتكريمه له بما أعطاه بدون حساب.

١٢١- قال: «حدثنا إسماعيلُ، حدثني مالكٌ، عن ابنِ شهابٍ، عن أبي عبدِالله الأغَرِّ، عن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا -تبارك وتعالى- كُلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا حينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخرُ فيقولُ: مَنْ يَدْعُوني، فأستجيبَ له، مِنْ يَسْأَلُني، فأُعْطِيَهُ، مَنْ يستغفرني فأغفرَ له».

هذا الحديث له طرق متعددة ومستفيضة، قال ابن عبدالبر: «هذا الحديث منقول من طرق متواترة، ووجوه كثيرة، من أخبار العدول، عن النبي ﷺ»[3].

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، في كل زمان، على الإيمان بهذا الحديث وتلقيه

(١) انظر «الصحيح» (١/ ٥٣) الباب رقم (٢٠).

(٢) «تهذيب اللغة» (١١/ ٣٠).

(٣) انظر «التمهيد» (٧/ ١٢٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالقبول، كما أراد رسول الله ﷺ فإنه قاله علانية.

وبلغه الأمة تبليغاً عاماً، لم يخص به واحداً دون الآخرين.

وكان الصحابة وأتباعهم يذكرونه، ويروونه، ويبلغونه تبليغاً عاماً.

ولهذا ثبت في عامة كتب الإسلام، فمن أنكره، أو زعم أنه لا يجوز ذكره عند عامة الناس، أو تأوله على غير ظاهره، فهو ضال، سالك غير سبيل المؤمنين في ذلك.

ومن زعم أنه يدل على ما يجب أن ينزه الله عنه، من النقص المنافي لكماله، فقد أُتي من فهمه الخاطىء، وسوء ظنه بالله العظيم.

فإن وصف الله -تعالى- بالنزول كوصفه بغيره من الصفات، مثل الاستواء والفوقية والمجيء، والرضا والغضب، وغير ذلك مما وصف تعالى به نفسه ووصفته به رسله، يجب أن يؤمن به كله على وتيرة واحدة، إيماناً بلا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تأويل.

ولا يجوز للإنسان مهما كان من العلم أن ينصب نفسه مستدركا على الله ورسوله: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾.

قال ابن عبدالبر: «إن من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وعبدالرحمن وسائر المهاجرين والأنصار، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجا علم أن الله -عز وجل- لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة ودلائل الرسالة، لا من قبل حركة، ولا من باب الكل والبعض، ولا من باب كان ويكون.

ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجباً، [أو النظر] في الجسم ونفيه، والتشبيه ونفيه، لازماً ما أضاعوه، ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم.

ولو كان ذلك من عملهم مشهوراً، أو من أخلاقهم معروفاً، لاستفاض عنهم، ولشهروا به، كما شهروا بالقرآن.

وقول رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا» عندهم مثل قول الله -عز

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وجل-: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾، ومثل قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ كلهم يقول: ينزل، ويتجلى، ويجيء، بلا كيف، ولا يقولون: كيف يجيء؟ وكيف يتجلى؟ وكيف ينزل؟ ولا من أين جاء، ولا من أين يتجلى؟ ولا من أين ينزل؟؛ لأنه ليس كشيء من خلقه، تعالى عن الأشياء، لا شريك له.

وفي قول الله -عز وجل-: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجلياً للجبل، وفي ذلك ما يفسر معنى حديث النزول، ومن أراد أن يقف على أقاويل العلماء في قوله -عز وجل-: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ فلينظر في تفسير بقي بن مخلد، ومحمد بن جرير، وليقف على ما ذكرا، ففيما ذكرا منه كفاية، وبالله العصمة والتوفيق»[1].

وما ذكره الحافظ في شرح هذا الحديث من كلام أهل التأويل، فإن كل من آمن بأن رسول الله ﷺ بلغ ما أرسل به البلاغ المبين وآمن بأنه ﷺ أفصح الناس، وأقدرهم على البيان، وأنصحهم للخلق، من آمن بهذا علم أن ما ذكره كله باطل، وتغبير في وجه الحق، وزبد يذهب جفاء أمام نور النبوة.

فقوله: إن الذين حملوه على ظاهره وحقيقته هم المشبهة.

يقال له: بل الذين حملوه على ظاهره وحقيقته هم الصحابة عموماً وأتباعهم إلى يوم الدين، ولا تستطيع أن تأتي بكلمة واحدة عن الرسول، أو عن أصحابه، تؤيد قول أهل التحريف الذين يسمون أنفسهم أهل السُّنَّة.

قال شيخ الإسلام: «والصواب أن جميع هذه التأويلات مبتدعة، لم يقل أحد من الصحابة شيئاً منها، ولا أحد من التابعين لهم بإحسان، وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السُّنَّة والحديث أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السُّنَّة، ولكن بعض الخائضين بالتأويلات الفاسدة يتشبث بألفاظ تنقل عن بعض الأئمة، وتكون إما غلطاً، أو محرفة، كقول الأوزاعي في النزول: «يفعل الله ما يشاء» فسره بعضهم بأن النزول مفعول مخلوق، وليس الأمر كذلك»[2].

وقال أبو عثمان الأنصاري: «ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب -سبحانه وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل

(١) «التمهيد» (٧/ ١٥٢-١٥٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٠٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله، وكذلك يثبتون ما أنزله الله -عز اسمه- في كتابه من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله -عز وجل-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1].

وقوله -تعالى-: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ نؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف، فلو شاء أن يبين لنا كيفية ذلك لفعل، فانتهينا إلى ما أحكمه، وكففنا عن الذي يتشابه.

ثم روى بسنده عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، قال: قال لي الأمير عبدالله ابن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا الحديث الذي ترووونه عن رسول الله ﷺ «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا» كيف ينزل؟ قال: قلت: أعز الله الأمير: لا يقال لأمر الرب: كيف، إنما ينزل بلا كيف.

ثم روى عن أحمد بن سعيد الرباطي، قال: حضرت مجلس الأمير عبدالله بن طاهر، ذات يوم، وحضر إسحاق بن راهويه، فسئل عن حديث النزول، أصحيح هو؟ قال: نعم. فقال له بعض قواد عبدالله: يا أبا يعقوب، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم. قال: كيف ينزل؟ فقال له إسحاق: أثبته فوق، حتى أصف لك النزول، فقال الرجل: أثبته فوق؟!

فقال إسحاق: قال الله -عز وجل-: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، فقال الأمير عبدالله: يا أبا يعقوب، هذا يوم القيامة، فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟[2]

وقوله: «ويكلون علمه إلى الله» يعني: علم الكيفية، لا يبحث فيها؛ لأن الكيفية تتوقف على المشاهدة، والله تعالى لا يُرى في الدنيا، وكذا قول إسحاق بن راهويه: «إنما ينزل بلا كيف»، يعني: بلا كيف يعلمه العباد، وإلا ففي حقيقة الأمر له كيفٌ يعلمه الله -تعالى-.

قال أبو سعيد الدارمي -رحمه الله-: «فمما يعتبر به من كتاب الله -عز وجل-

---

(١) الآية ٢١٠ من سورة البقرة.

(٢) «عقيدة أصحاب الحديث»، «مجموعة الرسائل المنيرية» (١/ ١١٢) ملخصاً.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في النزول، ويحتج به على من أنكره: قوله -تعالى-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، وهذا يوم القيامة، فالذي يقدر على النزول يوم القيامة من السموات كلها، للفصل بين عباده، قادر أن ينزل كل ليلة من سماء إلى سماء.

فإن ردوا قول رسول الله ﷺ في النزول، فماذا يصنعون بقول الله عز وجل؟»[2].

ثم ذكر بعض أحاديث النزول، ثم قال: «فهذه الأحاديث قد جاءت كلها -وأكثر منها- في نزول الرب -تبارك وتعالى- وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة، فعارضت آثار رسول الله ﷺ بردها، وتشمروا لدفعها بجد، فقالوا: كيف نزوله؟ قلنا: لم نكلف كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلاً أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته، ولطف ربوبيته، كيف يشاء.

فالكيف منه غير معقول، والإيمان بقول رسول الله ﷺ في نزوله واجب، ولا يُسأل الرب عما يفعل، وكيف يفعل، وهم يُسألون؛ لأنه القادر على ما يشاء، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف، الذي لا قدرة له إلا ما أقدره الله -تعالى- عليه: كيف يصنع، وكيف قدر.

ولو قد آمنتم باستواء الرب على عرشه، وارتفاعه فوق السماء السابعة بدءاً إذ خلقها، كإيمان المؤمنين به، لقلنا لكم: ليس نزوله من سماء إلى سماء بأشد عليه ولا أعجب من استوائه عليها إذ خلقها بدءاً، فكما قدر على الأولى كيف يشاء يقدر على الأخرى كيف يشاء.

وليس قول رسول الله ﷺ في نزوله بأعجب من قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[3].

---

(١) الآية ٢١٠ من سورة البقرة.

(٢) «رد عثمان بن سعيد على الجهمية» (ص٦٣).

(٣) الآية ٢١٠ من سورة البقرة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[1] فلما قدر على هذا يقدر على ذاك، فهذا الناطق من قول الله -عز وجل-، وذاك المحفوظ من قول رسول الله ﷺ بأخبار ليس عليها غبار.

فإن كنتم من عباد الله المؤمنين لزمكم الإيمان بها كما آمن بها المؤمنون، وإلا فصرحوا بما تضمرون، ودعوا هذه الأغلوطات، التي تلوون بها ألسنتكم، فلئن كان أهل الجهل في شك من أمركم، فإن أهل العلم من أمركم لعلى يقين»[2].

وقال أبو عمرو الطلمنكي: «أجمعوا -يعني: أهل السُّنَّة والجماعة- على أن الله يأتي يوم القيامة، والملائكة صفاً صفاً؛ لحساب الأمم وعرضها، كما يشاء وكيف يشاء، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[4] وأجمعوا على أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، على ما أتت به الآثار، كيف شاء، لا يجدون في ذا شيئاً»[5].

ولا يعرف عن السلف وأهل العلم المقتدى بهم من أنكر النزول، أو تأوله، فإنه مثل صفات الله الأخرى، كالاستواء، والمجيء، والرضا، والغضب، بل والخلق، والرزق، والإحياء والإماتة، فمن آمن بشيء من ذلك لزمه الإيمان بالباقي؛ لأن الباب واحد، ولا يجوز فيه قياس أو تمثيل، تعالى الله عن قول أهل الباطل من المحرفين بالتأويلات الفاسدة، والمعطلين.

وما ذكره الحافظ في شرحه لهذا الحديث عن البيضاوي من قوله:

«لما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية، والتحيز، امتنع عليه النزول، على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه.

فالمراد: نور رحمته، أي: ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب

---

(١) الآية ٢٢ من سورة الفجر.

(٢) «الرد على الجهمية» لعثمان بن سعيد الدارمي (ص٧٩-٨٠).

(٣) الآية ٢١٠ من سورة البقرة.

(٤) الآية ٢٢ من سورة الفجر.

(٥) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٥٧٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والانتقام، إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة»[1].

فهذا من كلام أهل البدع الذين اعتاضوا عن كلام الله ورسوله بنحاتة أفكار أهل الاعتزال، والتجهم، الذين لم يعرفوا من أوصاف الله -تعالى- إلا ما يعرفونه من أنفسهم، فقاسوا نزول الله، واستواءه على عرشه، ومجيئه يوم القيامة، على نزولهم من أعلى إلى أسفل، واستوائهم على ما هو مرتفع، ومجيئهم من مكان إلى آخر.

ولهذا قال: منزه عن الجسمية، والتحيز؛ لأنه اعتقد أن هذه الصفات لا تثبت إلا للجسم، والمتحيز، مع أن الجسمية والتحيز من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقاً وباطلاً.

فإن كان يريد بالجسمية: القائم بنفسه البائن عن غيره، فالله -تعالى- قائم بنفسه، وبائن من خلقه، وإن كان يريد بالجسمية: الذي تصح الإشارة إليه، ويكون في مكان، فالله -تعالى- يشار إليه وتتوجه قلوب عباده إليه من فوقهم، وهو فوق عرشه مستوٍ عليه، كما علم المؤمنون.

وإن كان يريد بالجسمية البدن، والجسد المركب من الأعضاء واللحم والدم ونحو ذلك، فالله -تعالى- ليس كمثله شيء، وهو منزه عن ذلك، ولم تدل النصوص على هذا.

وإن كان يريد بالمتحيز: الذي تحوزه الأشياء وتحيط به، فالله -تعالى- أجلُّ وأعظم من أن يحيط به شيء مخلوق.

وإن كان يريد أنه تعالى منحاز عن خلقه فلا يحيطون به، وليس حالاً فيهم، ولا شيء من مخلوقاته فيه -تعالى وتقدس، فالله -تعالى- كذلك، وقد علم أن مراد هؤلاء تعطيل الله -تعالى- عما وصف به نفسه وعما وصفه به رسوله، ولكنهم لم يجرؤوا على رد ذلك صراحة، فجاؤوا بمثل هذه الألفاظ المجملة، التي يظنها من لا يعرف مرادهم مراداً بها التنزيه، وهم يريدون تعطيل الله من أوصافه.

ولا يجوز أن يرد كلام رسول الله ﷺ بمثل هذه الأغلوطات، التي يزعم

(١) «الفتح» (٣/ ٣١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

البيضاوي وفريقه أنها أدلة قطعية، والحقيقة أنها شبهات تقطع المفتون بها عن سبيل الهدى.

ثم نقول لهؤلاء: أأنتم أعلم بالله من الله؟ أم أنتم أعلم بالله من رسوله؟ أم أنتم أعظم تنزيهاً لله من رسوله؟ أم أنتم أقدر على البيان من رسوله؟ أم أنتم أحرص على هداية الأمة، وسلامة عقيدتها من رسول الله ﷺ؟ أم أنتم أشد غيرة على الله من رسول الله؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

قال شيخ الإسلام: «إذا قال [أهل التأويل]: النزول، والاستواء، ونحو ذلك من صفات الأجسام، فإنه لا يعقل النزول، والاستواء، إلا لجسم مركب، والله منزه عن هذه اللوازم، فيلزم تنزيهه من ذلك.

أو قالوا: هذه حادثة، والحوادث لا تقوم إلا بجسم مركب.

وكذلك إذا قالوا: الرضا والغضب، والفرح، والمحبة، ونحو ذلك هو من صفات الأجسام.

فيقال لهم: وكذلك الإرادة، والسمع والبصر، والعلم، والقدرة، من صفات الأجسام، فكما لا يعقل ما يسمع، ويبصر، ويريد، ويعلم، ويقدر، إلا جسم. فالرضا والغضب والفرح والمحبة مثل ذلك.

وإن قالوا: سمعه ليس كسمعنا، وبصره ليس كبصرنا، وإرادته وعلمه وقدرته.

قيل: وكذلك نزوله، واستواؤه، ورضاه، وغضبه، وفرحه، ليس كنزولنا واستوائنا، ورضانا وغضبنا وفرحنا.

فإن قالوا: لا يعقل في الشاهد نزول إلا انتقال، فيقتضي تفريغ مكان، وشغل آخر.

قيل: كذلك لا يعقل في الشاهد إرادة إلا ميل القلب إلى جلب ما يحتاج إليه المريد وينفعه، وفي ذلك فقره إلى ما سواه، ودفع ما يضره.

والله أخبرنا كما في الحديث الإلهي بقوله: «إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني». فهو منزه عن الإرادة التي لا يعقل في الشاهد إلا هي، وكذا السمع لا يعقل إلا بدخول صوت في الصماخ، وذلك لا يكون إلا في جوف، والله منزه عن ذلك، فهو أحد صمد، كما قال ابن مسعود، وابن عباس،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وغيرهما من السلف: «الصمد: الذي لا جوف له»[1].

والمقصود أن هؤلاء المؤولة، أهل التحريف، يلزمهم على أصلهم أن لا يثبتوا لله صفة، وكفى بذلك ضلالاً وكفراً.

أو أن يؤمنوا بصفات الله -تعالى- كلها، على ما جاءت بها النصوص، بلا تحريف، ولا تمثيل، على ما يليق بعظمة الله وجلاله، كما أخبر تعالى بأنه لا سمي له، ولا ند له، ولا مثيل له، فإن الباب واحد.

ويجب أن يؤمن بصفات الله -تعالى- على وتيرة واحدة، وأن يطرح القياس وتوهم التمثيل، ويسلم للنص.

وما ذكره الحافظ، عن ابن العربي، أنه اختار التأويل، وأن النزول راجع إلى أفعاله، لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه... إلى آخر كلامه المتهافت.

فيقال أولاً: بئسما اخترت، فإنك اخترت الباطل.

ثم يقال له أيضاً: أخبرنا من أين ينزل أمره ونهيه، وأنت وقبيلك تنكرون أن يكون الله فوق مخلوقاته؟ أينزل أمره ونهيه من العدم؟ ويلزمكم أن يكون الملك الذي ينزل بأمره ونهيه -كما يزعمون- أكمل من رب العالمين؛ لأنه كان عالياً، ومن يكون أعلى فهو أكمل ممن هو أسفل منه.

ثم يقال له أيضاً: الملائكة لا تزال تنزل إلى الأرض، وإلى السماء الدنيا وغيرها بأمر الله، بالليل والنهار، فما بال هذا النزول يتحدد له ثلث الليل الآخر؟

ويقال له أيضاً: إن في الحديث قوله -تعالى-: «من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له» وهذا لا يجوز أن يقوله إلا رب العالمين، وهل يجوز أن الملك يقول: من يستغفرني؟ وهذا كافٍ في إبطال قول المتأولين، كما يبطل قول الحافظ: «مما يقوي التأويل ما رواه النسائي في بعض طرق الحديث: «ينادي مناد: هل من داع فيستجاب له» الحديث، وزعم القرطبي أن هذا يزيل الإشكال.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٥٢) ملخصاً.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ونحن نقول لهؤلاء: إن الإشكال لازم لمذهبكم ولن ينفك عنه، ولن تجدوا ما يؤيده وإن أجهدتم أنفسكم، فهذه الرواية لا تخالف اللفظ الصريح الواضح الذي ضيق خناقكم، وقد جاء في بعض طرقه عند النسائي وابن ماجه قوله: «لا أسأل عن عبادي غيري».

مع أنه يجوز أن الله تعالى -مع قوله ذلك- يأمر من ينادي، ولكن المنادي لا يقول: «من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».

ومن زعم أن النبي ﷺ قال: إن الله يأمر مناديا يقول ذلك، فهو كاذب؛ لأنه خلاف المستفيض المتواتر عنه أن المنادي هو رب العالمين.

وأما قول البيضاوي: «إن ذلك عبارة عن نور رحمته» إلى آخر ما قال.

فيقال: رحمة الله -تعالى- تنزل كل وقت وآن، لا يختص نزولها بوقت معين، ونور الرحمة لا يقول: من يسألني فأعطيه ... إلى آخره.

«والأمر والرحمة إما أن يراد بهما أعيان قائمة بنفسها كالملائكة، أو يراد بها صفات، وأعراض.

فإن أريد الأول، فالملائكة تنزل كل وقت، والنزول المذكور في الحديث خص بجوف الليل، وجعل منتهاه السماء الدنيا، ومعلوم أن الملائكة نزولهم لايختص لا بهذا الزمن، ولا بذاك المكان.

وإن أريد صفات، وأعراض، مثل ما يحصل في قلوب العابدين في وقت السحر من الرقة، والتضرع، وحلاوة العبادة، ونحو ذلك، فهذا حاصل في الأرض ليس منتهاه السماء الدنيا.

ونزول أمره ورحمته لا يكون إلا منه، وحينئذ فهذا يقتضي أنه فوق العالم، فنفس تأويلهم يبطل مذهبهم.

وكذلك يبطله ما جاء من ألفاظ الحديث، مثل قوله: «ثم يعرج» وفي لفظ: «ثم يصعد».

يضاف إليه قوله: «ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، حتى يطلع الفجر».

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومعلوم أنه لا يجيب الدعاء، ويغفر الذنوب، ويعطي كل سائل سؤاله، إلا الله، وأمره ورحمته لا تفعل شيئاً من ذلك»[1].

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي لما أوَّل بشر الحديث بمثل ما ذكره الحافظ: «فيقال: هذا من حجج النساء والصبيان، ومن ليس عنده بيان، ولا لمذهبه برهان؛ لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة، ووقت، وأوان، فما بال النبي ﷺ يحد لنزوله الليل دون النهار، ويوقت من الليل شطره، أو الأسحار، أفأمره ورحمته يدعوان العباد إلى الاستغفار؟ أو يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه، فيقولان: هل من داع فأجيبه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟

فإن قررت مذهبك لزمك أن تدعي أن الرحمة والأمر هما اللذان يدعوان إلى الإجابة والاستغفار، بكلامهما، وهذا محال عند السفهاء، فكيف عند الفقهاء؟

وقد علمتم ذلك ولكن تكابرون، وما بال رحمته وأمره ينزلان عند شطر الليل ثم لا يمكثان إلا إلى طلوع الفجر ثم يرفعان؟»[2].

وليس نزوله تعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلثه الآخر كنزول المخلوق الذي يتخيله الجهال، حتى يلزم منه أنه دائم النزول، وأنه تحت السموات، وفوق السماء الدنيا مقدار ثلث الليل على كل بلد، ولو كان كما يتخيله الجهال لكان النزول ممتنعاً؛ وذلك لوجوه:

أحدها: أنه لا يكون فوق العرش أبدا، بل لا يزال نازلاً.

الثاني: أنه على هذا التقدير يلزم أن يكون الزمان بقدر ما هو عليه مرات كثيرة، ليقع النزول في ثلث ليل كل بلد، مع أن الليل يختلف طوله وقصره باختلاف عرض البلاد، واختلاف الأوقات.

الثالث: أنه لو كان كما تخيله الجاهل، فكيف يبقى عند هؤلاء إلى طلوع فجرهم، ويكون نازلا عند من هم غربهم ولم يطلع فجرهم؟ وهلم جراً.

والحق أن نزول الله -تعالى- الذي أخبر به الصادق المصدوق ليس كنزول المخلوق كما يتخيله الجهال بالله -تعالى- وأوصافه، بل يمكن أن يكون نزوله في

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤١٥-٤١٦).

(٢) رد عثمان بن سعيد على بشر المريسي (ص٣٧٨)، مجموع عقائد السلف.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقت واحد لخلق كثير، ويمكن أن يكون قدره لبعض الناس أكثر، ولا يمتنع على الله -تعالى- أن يقرب إلى بعض عباده دون بعض، فيقرب إلى داعيه دون من لم يدعه.

وهذا كما أنه تعالى يحاسب عباده يوم القيامة كلهم في ساعة واحدة، وكل واحد منهم يخلو به، فيقرره بذنوبه، وذلك المحاسب لا يرى أنه يحاسب غيره.

وكما أنه سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

والمقصود من الحديث قوله: «**فيقول: من يدعوني فأستجيب له**» إلى آخره؛ لأن هذا من كلام الله الذي يحض به عباده المؤمنين بنزوله إلى التعرض إلى فضله وكرمه، فيستجيب للداعي، ويعطي السائل سؤله، ويغفر للمستغفر ذنبه، فما أكرم هذا الرب، وأقربه ممن يؤمن بقربه، وما أوسع عطاءه، ولكن أهل التعطيل والتحريف من أبعد الناس عنه، تعالى وتقدس عما تتصوره أفكارهم المنحرفة.

وقوله وكلامه -تعالى- غير خلقه، فأهل التأويل والتعطيل يريدون أن يبدلوا كلامه ذلك وقوله، وأما خلقه فإنه لا يبدل، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾.

١٢٢- قال: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شُعَيْبٌ، حدثنا أبو الزِّنادِ، أن الأَعْرَجَ حَدَّثَهُ، أنه سمعَ أبا هريرةَ، أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «نحنُ الآخرونَ السابقونَ يومَ القيامةِ»، وبهذا الإسناد: «قالَ الله: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليكَ».

قوله: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة» يعني: أن هذه الأمة آخر الأمم في الدنيا وعليها تقوم الساعة، وهم أول الأمم دخولاً الجنة، ويحاسبون قبل الناس كلهم.

والمقصود قوله: «**قال الله: أنفق أنفق عليك**» إذ هو قول الله، رواه رسوله عن ربه -تبارك وتعالى- وفي هذا القول أمره لنبيه بالإنفاق في سبيل الله، والدعوة إلى دينه، ووعده -تعالى- أن ينفق عليه- أي: يعطيه ما يحتاجه لذلك وغيره.

وهذا القول يضاف إلى الله -تعالى- قولاً له حقيقة، وليس هو من القرآن، وقول الله -تعالى- غير خلقه، وتقدم هذا الحديث.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٢٣- قال: «حدثنا زُهَيْرُ بنُ حَرْبٍ، حدثنا ابنُ فُضَيْلٍ، عن عمارةَ، عن أبي زرْعَةَ، عن أبي هريرةَ -فقالَ: «هذه خديجةُ أتتكَ بإناءٍ فيه طعامٌ، أو إناءٍ فيه شرابٌ، فأقرئها منْ ربها السلامَ، وبَشِّرْها ببيتٍ مِنْ قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ».

قوله: «فقال: هذه خديجة» القائل هو جبرائيل، كما صرح به في باب تزويج خديجة.

قوله: «أتتك» في رواية : «تأتيك».

قوله: «بإناء فيه طعام، أو إناء فيه شراب» شك من أحد الرواة، وفي بعض نسخ البخاري حذفت «فيه» الثانية.

قوله: «فأقرئها من ربها السلام» أي: أخبرها. قال الحافظ: «زاد الطبراني في الرواية المذكورة: فقالت: هو السلام، ومنه السلام، وعلى جبرائيل السلام.

قال العلماء: في هذه القصة دليل على وفور فقهها؛ لأنها لم تقل: وعليه السلام، عرفت أن الله لا يرد عليه السلام، كما يرد على المخلوقين؛ لأن السلام اسم من أسمائه -تعالى-، وهو دعاء بالسلامة، وذلك لا يصلح أن يرد به على الله. ويستفاد منه رد السلام على من أرسل السلام، وعلى من بلغه.

واستدل بهذه القصة على أن خديجة أفضل من عائشة؛ لأن الله أرسل إليها السلام، وأما عائشة فأرسل إليها السلام جبرائيل»[1].

قوله: «وبشرها ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب» تقدم معنى البشارة، والقصب هو قصب اللؤلؤ كما جاء مفسراً في الحديث».

قال الحافظ: «عند الطبراني في «الأوسط»، عن ابن أبي أوفى: «يعني: قصب اللؤلؤ»، وفي «الكبير» من حديث أبي هريرة: «ببيت من لؤلؤة مجوفة» وأصله في مسلم.

وفي «الأوسط» من حديث فاطمة: قلت: يا رسول الله، أين أمي خديجة؟ قال: في بيت من قصب، قلت: أمن هذا القصب؟ قال: لا، من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت»[2].

---

(١) «الفتح» ملخصاً (٧/ ١٣٩).

(٢) المصدر السابق من (١٣٨) ملخصاً.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والصخب: الصياح والمنازعة برفع الصوت. والنصب: التعب.

قال السهيلي: مناسبة نفي هاتين الصفتين: أنها أجابت النبي ﷺ طوعاً، ولم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة، ولا تعب في ذلك، بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير، فناسب أن يكون بيتها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها»[1].

والمقصد من الحديث قوله: «**فأقرئها من ربها السلام**» إلى آخره؛ لأن الله -تعالى- خاطب جبريل بذلك حينما أرسل معه السلام إليها، والبشارة، فهذا من كلام الله المتضمن الإكرام والإفضال على زوج سيد المرسلين ﷺ ورضي الله عنها وعن سائر أزواجه وأصحابه أجمعين، وهذا من كلام الله المتعلق بمشيئته الذي أكرم به من شاء من خلقه، وهو غير القرآن، وغير خلقه، فإن الخلق لا يرسل به.

١٢٤- قال: «حدثنا معاذُ بنُ أَسَدٍ، أخبرنا عبدُالله، أخبرنا مَعْمَرٌ، عن هَمّامِ بنِ مُنَبِّه، عن أبي هريرةَ -رضي الله عنه- عن النبيِّ ﷺ قالَ: قالَ الله: «أعددتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَر على قَلبِ بَشَرٍ».

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[2].

فلا يعلم بما أعد الله لهم من الكرامة والنعيم إلا الله -تعالى- الذي خلقه، ولذلك قال: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» فلا أحد يستطيع وصفه؛ لأنه لم يره، ولم يسمع بمثله، ولا يتصوره أحد، وإنما يعلمه الله وحده.

روى مسلم في «صحيحه»، من حديث المغيرة بن شعبة، يرفعه، قال: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: هذا لك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك، وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت

(١) «الفتح» (٧/ ١٣٨).

(٢) الآية ١٧ من سورة السجدة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عينك، فيقول: رضيت رب.

قال: رب، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر. قال: ومصداقه في كتاب الله -تعالى-: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»[1].

قال القرطبي: «وهذه الكرامة إنما هي لأعلى أهل الجنة منزلاً، كما بينه هذا الحديث»[2].

والمقصود قوله: «أعددت لعبادي الصالحين» إلى آخره، فهو من قول الله -تعالى- الذي خاطب به عباده، مخبراً إياهم بما أعده -تعالى- لعباده الصالحين.

والصالح: هو الذي يفعل ما أمره الله به، ويجتنب ما نهاه عنه، وإن فرط منه معصية، بادر بالتوبة والإنابة إلى ربه.

وقول الله وكلامه لا يختص بالكتب المنزلة على رسله كهذه الأحاديث، فهي من كلام الله، وكلامه غير خلقه.

١٢٥- قال: «حدثنا مَحْمُودٌ، حدثنا عبدُالرزاق، أخبرنا ابنُ جُرَيْجٍ، أخبرني سليمانُ الأَحْوَلُ، أن طاوساً أخبره، أنه سمعَ ابنَ عَباسٍ يقولُ: كان النبيُّ ﷺ إذا تَهَجَّدَ مِنَ الليلِ قالَ: «اللهمَّ لكَ الحمدُ أنتَ نورُ السموات والأرض، ولكَ الحمدُ أنتَ قيِّمُ السموات والأرض، ولكَ الحمدُ أنتَ رَبُّ السموات والأرض ومَنْ فِيهِنَّ، أنتَ الحقُّ، وَوَعْدُكَ الحقُّ، وقَولُكَ الحقُّ، ولقاؤكَ الحقّ، والجنةُ حَقٌّ، والنارُ حَقٌّ، والنبيونَ حَقٌّ، والساعةُ حَقٌّ، اللهمَّ لكَ أسلمتُ، وبكَ آمنْتُ، وعليكَ تَوَكَّلْتُ، وإليكَ أَنَبْتُ، وبكَ خاصمتُ، وإليكَ حاكَمْتُ، فاغفرْ لي ما قدّمتُ، وما أخّرتُ، وما أسررتُ، وما أعلنتُ، أنت إلهي لا إله إلا أنت».

تقدم شرح هذا الحديث في باب قول الله -تعالى-: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾، وبعض ألفاظه تختلف عما سبق، كما هي عادته إذا أعاد الحديث، وسبق التنبيه عليه.

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ١٧٦).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٠٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي هذا الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من المداومة على قيام الليل؛ لأن لفظة «كان» تدل على ذلك غالباً.

وفيه إخباته ﷺ في قيامه، واجتهاده في الدعاء والتضرع، والإخلاص، والثناء على الله -تعالى- والتوسل إليه تعالى بالإيمان بوعده ووعيده، وقوله، والتسليم له.

والإنابة: الرجوع إلى الخير خاصة. أما الرجوع إلى الشر فلا يكون إنابة، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾[1] أي: عودوا إلى ما يرضى به عنكم من التوبة والانقياد لأوامره، والانتهاء عن زواجره.

والمراد من الحديث قوله: «وقولك الحق» أي: الثابت الذي فيه الهدى والعدل، فمحاولة المنافقين والكافرين والمفسدين تبديله، عدول منهم عن الحق، ولا يضرون بذلك إلا أنفسهم، كما أن من زعم أن الله لا يقول ولا يتكلم قد جانب الحق واستبدل به الباطل، وكلام الله -تعالى- لا نفاد له، وهو غير خلقه.

١٢٦- قالَ: «حدثنا حَجّاجُ بنُ مِنْهال، حدثنا عبدُالله بنُ عُمَرَ النُّمَيْرِيُّ، حدثنا يُونُسُ بنُ يزيدَ الأَيْلي، قال: سمعتُ الزُّهْرِيَّ، قال: سمعتُ عُرْوَةَ بنَ الزبير، وسعيدَ بنَ المسيَّبِ، وعَلْقَمَةَ بنَ وَقّاصٍ، وعبيدَالله بنَ عبدِالله، عن حديثِ عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ حين قالَ لها أهلُ الإفْكِ ما قالوا، فبرَّأها الله مما قالوا. وكُلٌّ حدثني طائفةً من الحديث الذي حدثني، عن عائشة، قالت: ولكنْ والله ما كنتُ أَظُنُّ أن الله يُنْزِلُ في براءتي وحياً يُتلى، وَلَشَأْنِي في نفسي كانَ أحقرَ مِنْ أن يتكلّمَ الله فيَّ بأمر يُتلى، ولكنْ كنتُ أرجو أن يرى رسولُ الله ﷺ في النومِ رؤيا يُبَرِّئُني الله بها، فأنزلَ الله -تعالى- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ العَشْرَ الآياتِ».

«الإفك»: أبلغ ما يكون من الكذب، والافتراء، وقيل: هو البهتان، لا تشعر به حتى يفجأك، وأصله: الإفك، وهو القلب؛ لأنه قول مأفوك عن وجهه.

فبرّأها الله مما قالوا، أي: بيّن براءتها من ذلك الإفك، الذي قاله المنافقون وروجوه في مجتمع المدينة، فآذوا به رسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه.

ولا يزال إلى اليوم فريق ممن يتستر بالإسلام -وهو يحاربه- ينمّي ذلك الإفك،

(١) الآية ٥٤ من سورة الزمر.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويشيعه، ويلفق الكذب والزور، ويحاول أن يلبِّس على السذج والمغفلين.

ولا شك أن من يفعل ذلك أنه معاند لله ورسوله، وسالك غير سبيل المؤمنين، ومؤذن لله ورسوله والمؤمنين بالحرب، وليس هو من الإسلام في شيء، بل هذا من أعظم الكفر والتكذيب لله ولرسوله.

قال الزمخشري: «نزلت فيه ثماني عشرة آية، كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ وتسلية له، وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها»[1].

وقال أيضاً: «ولو قلبت القرآن كله، وفتشت عما أوعد به العصاة، لم تر الله -تعالى- قد أغلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة -رضوان الله عليها- ولا أنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه، على طرق مختلفة، وأساليب مفننة، كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى، حيث جعل القَذَفَةَ ملعونين في الدارين جميعاً، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم، وأيديهم، وأرجلهم، تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب[2] الذي هم أهله»[3].

وقال ابن القيم: «فإن قيل: فما بال رسول الله ﷺ توقف في أمرها، وسأل وهو أعلم بالله، وبمنزلته عنده؟ هلاّ قال: سبحانك هذا بهتان عظيم».

فالجواب: أن هذا من تمام الحِكَم التي جعل الله هذه القصة سبباً لها، وابتلاءً لرسوله، ولجميع الأمة إلى يوم القيامة، ليرفع بها أقواماً، ويضع آخرين.

---

(١) «الكشاف» (٣/ ٥٣).

(٢) قوله: «الواجب» إشارة إلى أن نفاذ الوعيد واجب، كما هو مذهب المعتزلة، وهو غير مسلم، فإن الله -تعالى- أخبر أنه يغفر الذنوب ما عدا الشرك لمن يشاء، فلا يجوز الحكم على الله -تعالى- بأنه يجب أن يعذب العصاة.

(٣) «الكشاف» (٣/ ٥٦-٥٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن تمام الابتلاء أن تأخر الوحي، ليزداد المؤمنون إيماناً، والمنافقون إفكاً، ونفاقاً، وليظهر لرسوله والمؤمنين من سرائرهم، وتتم العبودية والمنة على الصدّيقة وأبويها.

والرسول ﷺ كان هو المقصود بالأذى، فلذلك تولى الله -تعالى- الدفاع عنه، والرد على أعدائه، وذمهم، وتوعدهم بالعذاب العظيم»[1].

قولها: «ولكن -والله- ما كنت أظن أن الله ينزل في براءتي وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم فيّ بأمر يتلى» كانت رضي الله عنها في نفسها صغيرة، ولكنها عند الله، وعند المؤمنين، عظيمة كبيرة؛ لأنها زوج رسول الله ﷺ وحبيبته، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه، حينما سئل: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقال السائل: ومن الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر»[2].

وقال ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» أخرجاه في «الصحيحين»[3].

وهكذا أهل الفضل يحتقرون أنفسهم، ويزدرونها في حق الله -تعالى-، وذاك مما يعلي منازلهم عند الله -تعالى-.

وفيه التصريح بأن الله يتكلم بما يوحيه إلى نبيه، وكلامه -تعالى- منه ما يتعبد بتلاوته كالقرآن، وغيره كهذه الأحاديث التي ذكر البخاري شيئاً منها، وفيه أن كلامه ينزل من الله، فالله فوق خلقه، وكلامه غير مخلوق، وغير محصور في الكتب المنزلة، وهذا هو وجه الدليل منه.

وقولها: «ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها» وذلك ليقينها ببراءتها، وثقتها بأن ذلك سوف يظهر لرسول الله ﷺ، فكانت تطمع وترجو الله -تعالى- أن يرى نبيه في المنام ما يكون فيه براءتها، ولكن الله بر

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٢٦١-٢٦٣) ملخصاً.

(٢) رواه مسلم (٧/ ١٠٩).

(٣) البخاري (٥/ ٣٦) ومسلم (٧/ ١٣٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تكتبوها حتى يعملها» وهذا لا يخالف قوله في السيئة: «لم تكتب عليه»؛ لأن عزم القلب وتصميمه عمل. قوله: «فإن عملها فاكتبوها بمثلها»، يعني: سيئة واحدة، قال الله -تعالى-: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

قوله: «فإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة» قيد تركها بأنه من أجل الله -تعالى- أي: خوفاً منه، وحياءً، أما إذا تركها عاجزاً، أو خوفاً من الخلق، أو لعارض آخر، فإنها لا تكتب له حسنة، بل ربما كتبت عليه سيئة.

وفي حديث ابن عباس: «ومن هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة»[3]، فأكدها بقوله: «عنده»، وبقوله: «كاملة»، وهو مقيد بما في هذا الحديث، يعني: أن يكون عدم عملها من أجل الله تعالى.

قوله: «وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة» إلى آخره.

وجاء وصفها في حديث ابن عباس المشار إليه، بأنها كاملة، وهذا تفضل من الله -تعالى- الكريم المنان على عباده، فله الحمد والمنة، فأي كرم أعظم من هذا، الهم بالحسنة يكتب الله به حسنة كاملة، وعمل الحسنة يكتب به عشر حسنات إلى سبعمِئَة حسنة، وفي حديث ابن عباس المشار إليه: «إلى سبعمِئَة ضعف، إلى أضعاف كثيرة» يعني: أكثر من سبعمِئَة، فالحمدلله ذي الطول والكرم، فلن يهلك على الله إلا من لا يصلح للتفضل، وليس هو أهل لذلك.

---

(١) الآية ١٦٠ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٤٠ من سورة غافر.

(٣) رواه البخاري في «الرقاق»، الباب ٣١، وانظر «الفتح» (١١/ ٣٢٣)، ومسلم رقم (١٣١) (١/ ١١٨).